عشق ورماد

رواية

أمل لولي سفينج

٢٠١٧

الناشر

www.darelnokhba.com

رئيس مجلس الإدارة

أسامة إبراهيم

المدير التنفيذي

سماح الجمال

المدير الفني

أحمد جابر

تصميم الغلاف

مصطفى الدناصورى

التصميم الداخلى

وليد محمد

دار النخبة

للطباعة والنشر والتوزيع

٣٣ شارع السنترال - المجاورة الأولى

- الحي الأول- مدينة الشيخ زايد -

الجيزة - مصر

تليفون: ٣٨٥١١٩٦٩ - ٠٠٢٠٢

٠٠٢ -٠١٢٨٨٦٨٨٨٧٥

E-mail: alnokhoba@gmail.com

ومن العشق ما كان مكيدة رائعة

يقع فيها كل العاشقين بلا استثناء ...

فلا يعود الرجوع عنها أمراً مقبولاً..او مبهجاً..

الوقوع في المكيدة يكون دائما بالإختيار..

كالفراشة تخطو للنور..

وهي تعلم انها سوف تموت احتراقاً...

ولكنها تفضل الموت بعد لذة الاكتشاف والنشوة ...

عن العيش في ظلام بلا متعة مدى الحياة

كعادتي اليومية السخيفة .. أستيقظ قبل أن يطلق المنبه صفارته المزعجة

وأفيق من ثرثرة الأحلام ، فمن عادة النوم أن يثرثر كثيراً كي يقنع نفسه أنّه ليس نادماَ على مالم يكن عشقاُ..

وعلى الميعاد اليومي نفسه وقطتي لوزة .....الشيرازية البيضاء تلعق أصابعي كالعادة لكي أفيق لأقدم لها وجبة الإفطار ... بصوت أرهق حباله الصوتية احتساء السجائر بشهية.....

. صباح الخير يا « لوزة « ...حاضر قايمة أهو»

لبست الروب وجرجرت الأقدام المتعبة من ثرثرة أحلامي الثكلى.. إلى باب المطبخ

ملأت السخان وانتظرت بجانبه حتى يغلي الماء وينفجر بخارًا .. ويعلو صفيره المزعج....

. اففففف كل حاجة الصبح مزعجة كدة....-

التقطت علبة سجائر ، واشعلت السيجارة النحيفة بهدوء لأفرغ لفافاتها من دخانها العقيم ... وأُوقد صدرى على مرأى الروح .. بعبث.

فتحت علبة تونه وقدّمتها للقطة الجائعة بدلاً من لعقها لأصابع قدمى بشبق وأنا أصُب القهوة في الفنجان الضخم المفضل لديّ .

أعشق هذا الطعم من القهوة ولا بديل عنه أبداً مهما ارتفع ثمنه...إنّه فقط ما يعدل مزاجي المتكدّر دائماً صباحاً .

لدرجة أدمنته وبدون هذا الطعم لا يكتمل يومي بشكل متوازن .

لذا قررت أن أذيب التوازن في فنجان قهوة .. أن أبدأ النهار بإقامة علاقة جميلة وكسولة مع الحياة ..

أن أفك ربطة عنق الوقت .. وأترك نافذتي مفتوحةً .. لرياح المصادفة !!.

جرجرت قدمي مرة أخرى لسريري كعادتي لأرتب ملاءات الندم بعد ليلة حلم صاخبة .. كما كل ليلة ..!!

دائماً ما أصحو مبكراً....عادة من العادات الصحية التي لا أحبها .. أحتاج أحياناً

لقليل من التوحش .. يمتطى صهيل رغباتي ويُعيدني قسراً إلى خِدر النساء ..

نظرت بملل شديد إلى الساعة ...لا تزال الساعة الثامنة صباحاً... ولاشيء أفعله تقريباً

سوى كتابة بعض المقالات كالعادة وارسالها إليكترونياً إلى الجريدة والمجلات التي أكتب بها ابواباً يومية لفقراء المحبة من القرّاء.

مقالاتي دائماً عن الحب..والرومانسية...والعواطف المشتعلة التى بحاجة إلى امرأة تجيد فن اطفاء النيران .. أو إلى رجل يجيد إشعال الحرائق .

اليوم انا متعبة .. ولست بخير .... منهكة من سرير الوحدة ، وافكاري تعانى من الضجر....!!

.سأحضر اجتماعات العمل الكترونياً ... وإلا فما فائدة التكنولوجيا في حالتى الآنية ..؟؟

حتى البقالة .. ستصلني من «عم عبده « البقّال حيث يرسلها لي كل اسبوع مع ما أحتاجه من الحكمة .. خضروات وفاكهة وقهوة وتونة للقطة , لحوم وسجائر اشعل بها ليل الأمنيات الجليدية....

«عم عبده « هو الرجل الوحيد الذي يحترم صمتي ....فقط يرسل مؤونة الأيام الثقيلة ،

يحترم خصوصيتي ويعلم كيف يتعامل معي بشكل حضاري برغم أمّيته الدراسية إلا أنني معجبة بآرائه السياسية دوماً . ..

كان بمثابة العجوز الفيلسوف - أكثر من ذكائه - كانت حكمة ذلك الرجل هي ما يذهلني .. ذلك أنّ صوته لا يفارقني . كان يأتي في كل مناسبة ملتبس الإضاءات .. في جملة .

ويحدث أن آخذ منه الكثير من الآراء والأفكار .. لأكتبها في مقالات .

والتى تنتظر حكمته لتكون بابًا فى صحيفة , وبعدها أطلبه هاتفياً لكي أقرأ له ما كتبته بأسلوبي الخاص ... وكثيراً ما أجزل له الشكر عندما تحظى فكرته بمقالة ناجحة تعجب قراء المحبة وعلبة تونة تعجب خليلتي الشيرازية..!!

اليوم لا رغبة لي بكتابة المقالات..فأنا حزينة على غير العادة ..معكّرة المزاج .

قلمي يرفض الانصياع...رميت الحاسوب جانباً....اشعلت سيجارتي الخامسة هذا الصباح

وجلست بهدوء مريب أنظر لنفسي في المرآة العاكسة للتسريحة التي تواجه السرير.

قمت من فوري لأنظر عن قرب...ما هذا ...؟ بعض التجاعيد تغزو بشرتي الطفولية التي كثيراً ما كانت تلفت أنظار الآخرين بنضارتها..كيف مّر العمر بهذه السرعة...كنت لا أخاف أبداً من جري السنين ولم أظن يوماً أنني سأعاني مثل بقية النساء...كيف لم أدرك هذا الواقع سابقاً ؟

..كل ماكان يهمني هو عملي فقط..لم أقف لحظة لألتقط أنفاسي ...او أفكر في نفسي كأنثى

بعد خمسة عشر عاماً من فشل تجربتي اليتيمة..حين انتهت قصة حبي الأسطورية مع أحمد...الشاب الذي كانت تتهافت عليه معظم فتيات الجامعة .....

كان أحمد شاباً وسيماً ...مفتول العضلات...جامحاً..وخفيف الظل ..

لفت نظري منذ اليوم الأول لالتحاقي بالجامعة..كان في السنة

الأخيرة من كلية الإعلام

وكنت لا أزال طفلة تخطو ببواكير الأنوثة إلى عالم الجامعة الغريب ..

لم أكن أنتمي لشلّة..ولم تكن لي حتى صديقات من أيام الثانوية التحقن معي بكلية الإعلام..وبسبب انتقال والدي من منطقة لأخرى لم يعد لدّي أيضا أي معارف في المنطقة..وبالصدفة اكتشفت أن أحمد جاري.. على بعد خطوات من المنزل..!!

تذكرت أول مرة لفت نظري عندما كنت أقف وحدي أحاول أن أعرف اين هي محاضرتي الأولى عندما اقترب مني قائلاً ...

- صباح الخير أنا أحمد

حاولت تجاهل الرّد عليه وأنا أشغل نفسي بالنظر إلى جدول محاضرات الطلاب الجدد .

- إنتِ مبترديش ليه .. أنا أحمد ...

ترددت قليلاً..لكنني لم أستطع أن أتجاهله أكثر ..

كنت كطفل يحاول أن يتسلّق مارداً شاهق الارتفاع دون جدوى منزلقاً إلى القاع...أو كمن يحاول أن يخبيء فيلاً ضخماً بداخل جيبه الصغير...

لا يعلم كيف يتصرف...والأمر جلل .....

حسمت أمري أخيراً...وردت بصوت مبحوح....

- صباح النور..

أكيد اسمك « نور « -

بس ليه بتقول « نور « .»- لا اسمي « ليلى

- أصلك بتشعي بهاء ونور .

ابتسمت ابتسامة خجلى...وأرخيت أهدابي الطويلة على عينّي العسليتين ..

- أهلاً ليلى... شايفك محتارة تحبي أساعدك؟

الحقيقة أنا عايزة أعرف محاضرتي فين ومش عارفة أسأل مين .. -

طيب تعالي نسأل .-

- مشيت بجانبه وكانت أول مرة أمشي بجوار رجل آخر غير أبي وأول مرة أحس بشعور غريب ينتابني... كأنّه حبيبي..أو زوجي... أحسست وقتها بمزيج من السعادة..والفخر وتهيأ لي أنّ هذا الرجل الوسيم هو ملكي وحدي...وتمنّيت لو أنّ الله يكتبه لي زوجاً في يوم من الأيام

وكم من الأطفال سأنجب منه , سأنجب منه ولداً يشبهه...بل سأنجب منه قبيلة بأسرها

رجالاً أشدّاء ..ونساء مثيرات ..يشبهونه ويشبهونني..

ليلى انتِ المفروض محاضرتك مع دكتور مين ؟ -

!!.. ليلى -

انتفضت من أحلامي المثيرة على يده القوية تهزّ كتفي بلطف .

أأأأأيوة محاضرتي الأولى مع الدكتور محمود -

- اتفضلي يا ستي ولما تخلصي هاتلاقيني مستنيكِ على الباب أحسن تتوهي تاني

ركزي في المحاضرة وبلاش السرحان عشان تشدّي حيلك .

صافحني مبتعداً ..

تسمرّت في مكاني فترة طويلة وأنا أمسك يدي مضمومة إلى صدري...أشمها حيناً..وأحتضنها حيناَ آخر ..

لم أفقه حرفاً واحداً من المحاضرة..ولم يهمني الأمر كثيراً..كنت أمنّي نفسي بساعة لقائه ..ماذا لقاؤه ....!!!! كيف يجرؤ؟

هل هذا موعد غرامي...لماذا لم يسألني رأيي إن كنت أوافق على رؤيته مجدداً أم لا ؟

مسحت كل التساؤلات من عقلي وحاولت التركيز في آخر خمس دقائق من المحاضرة

جهزت اوراقي وخرجت للقائه بعد أن قرصت وجنتّي كي يجري الدم بهما وصلحت من هندامي..وبيدين مرتعشتين صافحته مبتسمة ..

بفضول مع ابتسامة شقية سألني....

- إنتِ ساكنة فين.

وأنا أحاول أن أخبىء ابتسامتي البلهاء ...

- أنا ساكنة في المنيل ...وأنت ..؟

تعرفي فتحي الكبابجي ؟ -

- أنا باستغراب ...أيوة ده جنبنا على طول .
احنا تالت عمارة على اليمين قبل النيل . -
العمارة اللي بلكوناتها ألوميتال بنّي..؟ -
- أيوه صح إزاي عرفت التفاصيل دي؟

- أصلي ساكن بعدكم بعمارتين ، يبقى كل يوم هاوصلك واحنا رايحين وراجعين .

اعتبريني الحارس الشخصي لمعاليكِ يا جلالة الملكة .

- على فكرة أنا مش بحب المجاملات...يعني حاول متقوليش كلام من اللي بيقوله الولاد للبنات

لأني مش بحب حدّ يضحك عليّ ..

وإنتِ ليه واخدة الكلام بشكل سلبي...بصي أنا مش هاجاملك ...وهاسميكي الشاويش حنفي -

مبسوطة كدة؟

- لا مش أوي كدة...ليلى كفاية أوي.

- طيب خلاص يا ست ليلى كفايه أوي.

أول يوم دراسي في الجامعة كان أول يوم في حياتي كأنثى..أحسست بنفسي في عالم آخر...امرأة مكتملة الأنوثة تلفت نظر سيد الرجال

..كنت وقتها أرى العالم من خلال
نافذة صغيرة...بحجم ثقب الباب .. لا أرى من خلاله الا الدهشة..
وكلما حادثني وسعت الدائرة أكثر...
كان أحمد مثقفا جداَ..واسع المعرفة كثيراً ما علمني أموراً كنت أجهلها تماماً ..
مرة طلب مني أن نحضر عيد ميلاد أعز صديقاته « نهى « .. يومها أزعجني الأمر لا أعلم لماذا..ولكن مجرد إحساسي بوجود أنثى أخرى في حياته...حتى وإن كانت مجرد صديقة فقط ..ولمجرد أنّه يوجد اسم مؤنث في قائمة أصدقائه اعتبرت الأمر وكأنه منافسة على قلب أحمد وقررّت الذهاب معه...
.....

يا ماما استنى بس أنا قربت أخلص أهو .. -
يابنتي .. أحمد هنا من نص ساعة ...يلا كفاية زواق.. -
صوت أمي كان عالياً لدرجة أنني أحسست بالخجل من نفسي
طيب يأماما حاضر أهو .. -
- إزيّك يا أحمد...أحمد؟؟

- آه إزيّك يا ليلى..أنا بس أصلي كنت سارح شوية ..

أحسست بمعأنا ته عندما رآني متزينة لاول مرة منذ تعارفنا، وكنت أقصد هذا الأمر تماماً.

يلا يا ولاد...متنساش يا أحمد...ترجعها على 11 بالكتير .. تحط ليلى في عينك زي أختك ..-

- أكيد يا طنط من غير ماتقولي....ليلى في عينيّ الاتنين.

- سلام يا عمّو..

- سلام يا أحمد

- ماما على الباب..خدي بالك من نفسك...بلاش ترقصي معاه أو يمسكك من كتفك أو وسطك..خلي بينكم مسافة يابنتي...أنا مش هابقى معاكِ بس عارفة إنك مش هاتعملي إلا اللي مش هايزعلني منك...

- حاضر يا ماما...عارفة ...حاضر .

عندما أغلق باب الشقة وفي المصعد...كانت أول قبلة على خدّي ..

- أنت بتعمل إيه ...لا يا أحمد أنا هازعل منك .

آسف...بس مقدرتش أتمالك نفسي..أوعدك انها مش هاتتكرر تاني .-

أنا بنرفزة..وصوت واطي....خالص..؟ -

- تقصدي إيه ..؟؟؟

بصوت اعلى قليلاً مقصدش حاجة... بس يعني... -

- مقاطعا.....خلاص زي ماتحبي لو حبيتي أكرر البوسة أنا تحت أمرك لو اتضايقتِ...اعتبريها آخر مرة ...

أمممممممم طب أفكر..-

وصلنا الحفلة متشابكي الأيدي , الحفلة كانت كلها بذخ بحق.. دلفنا من باب الفيلا إلى الحديقة المعدّة للإحتفال..كان عدد الضيوف كبيراً جداً .. أحسست بالخجل لعدم معرفتي بأحد من أصحاب الحفل والمدعوين ...

تركني « أحمد « وذهب ليسلم على « نهى «...كانت في نفس سنه .. زميلته سنة رابعة في الجامعة ..أحسست بالغيرة من جمالها.. وخفّة ظلها ....

كان الاحتفال عبارة عن مسرح كبير معّد خصيصا كي يغني فوقه المطرب...

في الجانب الشرقي من الحديقة الكبيرة كان يوجد هيكل خشبي مزين بالاضاءة العالية على شكل بار يعجّ بالمشروبات من كل صنف ولون..وكراسٍ عالية تحدّه من كل صوب..وبعض الطاولات المرمية بنظام جمالي حوله من كل جانب.....

الحفلة قد بدأت قبل حضورنا بوقت قصير ....

أحسست بالملل وأنا أتابع المدعوين ...فذهبت إلى البار لكي أتناول بعض العصير المثلج
أهدىء به من روعي...

فجأة نادى أحمد علّي بصوته الرجولي..
- « ليلى « تعالي أعرفك بنهى .
رسمت ابتسامة مزيفة على وجهي وأخذت كوب العصير وذهبت بتثاقل ...
أهلاً « ليلى « «أحمد « حكى لي كتير عنك .... واضح إن معاه حق..
ميرسي يا نهى ولو أني معرفش هو قالك إيه .-
- لا خليه سر بينا هابقى أقولك عليه بعدين يا ليلى ...عايزاكِ تنبسطي بالحفلة ...وميرسي على الهدية....» أحمد « قالي انك انتِ اللي نقيتيها على ذوقك...
احسست بالحرج...فأنا لا أعلم ماذا أحضر لها « أحمد « ولا حتى خطر ببالي أن أسأله قبلها
تركتنا وذهبت بعد قليل من المجاملات والنظرات النسائية الحارقة التي لا تخطؤها عين...

- أحمد أنت جبتلها إيه... صحيح مسألتكش
- قزازة بارفان يا ليلى عادي يعني...
آه ...أوكي ..-
- إنتِ اتضايقتي اني قلت إنها منا احنا الاتنين..
لا أبداً...أنا اللي آسفه إني مفكرتش حتى بالهدية...-
- لا يا حبيبتي متتأسفيش إحنا الإتنين واحد ..بس أوعي تكوني غيرانة ولا حاجة...
- لا وهاغير من إيه ؟؟

- بصي ياستي هافهمك « نهى « دي صأحبتي من أيام ابتدائي , والدها ووالدي شركاء بزنس مع بعض وأنا لازم أجاملها وأحضر أعياد ميلادها وأبقى لطيف , لانها بصراحة هي كمان لطيفة أوي معايا ...وبرغم إن والدها ووالدي عايزينا نرتبط...بس إحنا مش في دماغنا خالص وبنقولهم إننا إخوات ومينفعش أخ يتجوز أخته..

أزعجتني كلمة «إحنا» فهذا معناه أنّه يجمع نفسه بها جمعاً يجعلني أغار عليه من مجرد الفكرة نفسها....فرددت عليه بصوت

مبحوح بارد.....

- ترتبطوا...؟ آه تمام ...

- فهمتي إيه بقى؟

- لا مفهمتش غير انه مينفعش ترتبطوا لأنكم بتحبوا بعض ..... زي الإخوات .

- تمام كده وضحت لك الفكرة , وعشان كده طلبت منك تيجي معايا عيد ميلادها أولا عشان تعرفي إنها زي أختي وعلاقتنا أبعد من أيّة تخيلات تانية .... وثانياً عارف إن الكلام ده هايوصل لبابايا وباباها وهايبقى أمر واقع ..

تقصد إيه يا أحمد مش فاهمة ؟-

إنتِ مش فاهم إيه بالظبط؟ -

يعني إيه أمر واقع؟-

- أمر واقع يعني أنا بحبك وعايز أتجوزك أنتِ وبس من أول يوم شفتك فيه , حسيت إنك اتخلقتِ عشاني أنا وبس , وأنا اتخلقت عشانك إنتِ وبس...ليلى ؟؟ ساكتة ليه؟؟ كلامي ضايقك؟

فجأة أحسست إنني أهوي من علو شاهق ولا شيء يمسكني إلا خيط مربوط طرفه بأحمد وهو فقط من يستطيع إيقاف انحداري....

أردت أن أرد عليه بأنني أحبه أيضاً لكن صوتي أحتبس تماماً

أبحث عن كلمة أرد بها عليه غير « وأنا كمان ...لم يعد عقلي يستوعب فكرة إنه يصارحني بحبه وسط هذا الكم من البشر وبدون سابق إنذار....

كانت قبل هذه اللحظة معظم تخيلاتي أنّ الحبيب عندما يريد الاعتراف لحبيبته بحبه

يأخذها إلى مقهى على النيل...يهديها باقة من الورود , ويجلسان في هدوء وهو يمسك بيدها

وعندها يعترف لها بحبه.....

أما أحمد..فقد صدمني فجأة وبدون سابق انذار وسط ضجيج من الأصوات الموسيقية.....والسكارى...والراقصين والراقصات.... فصلت نفسي عن كل هذا الضجيج لكي أتمالك نفسي...وأرد عليه رداً مناسباً .....

أنا يا أحمد ....أنا ...!! -

إنتِ إيه..آسف يظهر إني استعجلت وصارحتك قبل ما اتأكد إنك بتبادليني مشاعري -

- لا يا أحمد مش كده...أصل...

أحمد مقاطعاً بصوت أجّش....خلاص يا ليلى يلا أوصلك البيت عشان مامتك ماتقلقش عليكِ-

الحفلة كده خلصت بالنسبة لي....

ألقينا التحية على « نهى « التي أحست بأمر ما...ولكنّها لم تصرّ على معرفة سبب تعكر مزاج أحمد المفاجىء....وطلبت مني التواصل معها في الجامعة وأبدت استعدادها لمساعدتي في دراستي إن احتجت لها في اي وقت....كانت ودودة جداً..برغم إحساسي القوي بأنّها تخفي أمراً ماكراً..

لم يكن عندي ذرّة شك بأنّها كانت ممتعضة من وجودي مع أحمد ليلتها..ولكن هذا لم يبعد عني فكرة أنّ أحمد يحبني ....وأنّه اعترف بحبه لي...وأنا لم أستطع أن أتجاوب معه بسبب عنصر المفاجأة...أو بسبب غيرتي الشديدة من نهى ..أو لأنه لم يعطني فرصه لإستكمال كلامي فأصابني الصمت المفاجىء...أصابتني دهشة من عصبيته المفاجأة...ألجمت لساني.....

مشينا طول الطريق وهو مكفهّر الوجه ساكت...يشعل سجائره الواحدة تلو الأخرى...

أوصلني إلى المنزل وصعد معي لكي يطمئن أمي ورحل صامتاً دون أن ينبس ببنت شفة..

لم أنم ليلتها...ولا الليالي التي تلتها..أحمد لم يظهر في الكلية...ولم

تظهر» نهى « أيضا....

حاولت أن أسأل عنه زملاءه ولكنّهم لا يعرفون سبب غيابه وغياب «نهى» المفاجىء..أصابتني الحيرة واللهفة..فكّرت كثيراً أن أذهب لمنزله أطرق بابه وأعترف له بحبي....

ولكنى كنت أتراجع في كل مرة.....

كنت أمر تحت بيته في طريقي إلى الجامعة ذهاباً وإياباً...ولكنّي لم ألمحه ولا مرة

ولا لمحت سيارته تحت المنزل.....

معي رقم منزله ولكني خفت أن أتصل...قد يغلق السماعة في وجهي..أو..ترد علّي والدته..أو

طبعي المتردد والمتحفظ منعني من أن انفذ أيّ خطة دارت في تفكيري ...أسقط في يدي...وقررت عدم الذهاب للجامعة...لأنني لم أعد أستطيع أن أبعد « أحمد « عن تفكيري...

لدرجة أنني قاطعت الزاد ..وبدأت أدخن بشراهة ...فأصابني الوهن بعد أن نزل وزني بشكل مفاجىء.....وفجأة قررت أن أذهب واطرق بابه..وليحدث مايحدث....

لبست حذائي الرياضي ونزلت فجأة من المنزل , أمي لم تستطع أن تفهم من تمتمتي شيئاً سوى أنني سوف أحضر بعض مستلزمات الدراسة من زميلة.....

مشيت والأفكار تعصف برأسي...هل سيكون حضوري محرجاً له.....أم سيكون فرحا بي؟

ماذا سيكون موقفي أمام والدته مثلاً...أو والده ....أو حتى أخته عزة التي كثيراً ما حدثني عنها....عزة التي ولدت بإعاقة جسدية تمنعها من التعامل مع الأغراب او إتمام دراستها بشكل سليم....مالي ومال عزة الآن!...

يجب أن أراه الآن وليحدث ما يحدث ....!

وصلت باب العمارة ...دلفت إلى المصعد.....وأغلقت بابه بعصبيّة..ووقفت هناك على باب شقة أحمد...لا أدرى كم طال بي البقاء متسمّرة مكاني.... أفقت على صوت باب شقتهم يفتح..وصوت أحمد.....

!!!..... حاضر يا أمي مش هاتأخـــــ-

تفاجأ بوجودي على باب بيته....

أغلق الباب وأمسكني من يدي..وأخدني إلى المصعد..ولم يضغط أي زرار..فقط نظر إلى وجهي المرهق...وعينايّ الشاحبتان ...واحتضني... وأنا ...أنا تهت من نفسي ....لم أعد أعرف إن كان يحملني بين ذراعيه ...أم أنني أطير...غبت عن الدنيا...في أحضانه...

وأنا أقول له....

أحمد أنا. -

متقوليش حاجة يا ليلى.-

- لا أنا عايزاك تعرف..إني حبيتك من أول مره شفتك فيها.. أنا يا أحمد اتمنيتك أبو أولادي..وعدت نفسي إني هاخلف منك قبيلة بحالها حبيت إصرارك عليّ...حبيت كلامك معايا...حبيت إهتمامك بيّ..

حبيت كل تفصيلة في إيديك ووشك وردود أفعالك...حتى حبيت وشك وأنت مكشّر ساعة ماتكون بتلعب مع بابا الطاولة.... وهو بيغلبك...كنت بشوف وشك فرحان...يمكن لأنك بتحبني ومش متضايق بس بسبب إنه بابا....حبيت لمسة إيدك...وبوستك في الأسانسير... حتى شراهتك في التدخين حبيتها ...وبقيت أشتري السجاير عشان أدخن زيك

حبيتـــــ .....

.. وهو يلثم يدي...ممسكاً بها ناظراً في عيني بوداعة عجيبة

- ليلي....أنا كمان بحبك وبحبك أوي كمان

وغرقنا في أحضان وقبلات...ولولا أننا كنا في مصعد عمارتهم..

وقلقي من أن يخرج أحد أفراد أسرته فجأة ويرانا ...ماكنت تركته أبداً يومها..

بعد اعترافي له بحبي بدأت الحياة تأخذ لوناً ورديا أكثر..كنت كل يوم أحادثه إلى أن تغفو عيني...وكان أول صوت أسمعه صباحا عندما يوقظني...

كانت الحياة تمشي بهدوء...فأبي وأمي راضيان عن علاقتي بأحمد...

اعتبراه ابنهما الذي لم ينجباه...لانني كنت الابنة الوحيدة لهما...

بعد أن توفي لي أخ في المهد

لم تنجب أمي مرة أخرى ...وكنت أنا طفلتهما المدللة..برغم شدة أمي وصرامتها...الا أنّها كانت أحن أم في الدنيا.....

كانت دائماً ما تنصحني بعدم الالتفات للصبيان منذ أن بدأت تظهر على جسدي ملامح الأنوثة المبكرة...

- خليكي تقيلة يابنتي...وامشي وإنتِ مكشّرة...الولاد بيحبوا البنت المشخلعة اللي بتضحك لهم عشان يضحكوا عليها.....

- اوعى حد يقولك تعالي أوصلك البيت تركبي معاه...اوعي حد يلمسك في أي مكان دائماً خلي جسمك عزيز عليكِ وأغلى حاجة بتملكها البنت..

كانت كثيراً ما تسمعني كلاماً شبيهاً بالحفاظ على جسدي من لمسات الغرباء...وكأّن جسدي مشاع لأي عابر سبيل....

من شدة ترديدها هذا الكلام حفظته عن ظهر قلب..لدرجة أنني أصبحت أكمل الجملة قبل أن تنهيها...وكانت دائماً ما تعبس بوجهي عندما أنهي الحوار بابتسامة باردة

- حاضر يا ماما

- أوكي يا ماما

طيب يا ماما-

الحق يقال..كنت أشفق عليها من شدة خوفها عليّ...ولكنني كنت طفلة طموحة منذ بداياتي...لم يوقفني شيء أبداً ....

كان أبي يشجعني دائماً على الانطلاق..وكان يقول لي

- يابنتي مفيش فرق بين البنت والولد...الفرق هنا...مشيراَ إلى رأسه

لازم تتعاملي مع الناس على إنك ست وراجل...ست ساعة اللزوم وراجل ...زي أي راجل لازم يثبت نفسه في أي موقف ....فهماني يا بنتي..؟

كنت اومىء برأسي إيجاباً دائماً مؤمنّة على كلامه , فأنا أحب أبي جداً..نصائحه كانت دائماً تأخذ انتباهي..لا أدرى ...هل لأنني كان عندي شغف بعالم الرجال....فلا أذكر أنني كانت لي صديقة فتاة

أبداً..ماعدا مشيرة...كانت ابنة خالي..ووجودها كان فرضاً مقدساً عليّ .....

لم أختر صداقتها أو قرابتها...وبرغم أنها لم تكن قريبتي الوحيدة.. إلا أنّها كانت متواجدة دائماً بطريقة ما !!!

إلى أن حدث أمر قطع علاقتي بمشيرة تماماً حتى دخولي الجامعة....

كنت أحب صحبة « هادي « « ومحب « ..أولاد عمتي أمينة... كانا توأم...

كثيراً ما قضينا أيام المصيف معاً في الإسكندرية...حيث كنا لا نفترق..أنا ومشيرة..وهادي ومحب..كنا رباعياً متوافقاً تماماً في الطباع....

ومعظم شجاراتنا بسبب إن « هادي « « ومحب « ...يتجادلان في الرأي ..صحيح أنهما كانا متشابهين في الشكل...ولكن شتّان في الطباع....وأذكر أنّ أول قبلة كانت من «هادي» ....

ولازلت أذكر تفاصيلها تماماً...كأنّها حفرت في ذاكرتي.

«هادي» كان هادئاً منذ طفولته عكس «محب» كان كثير الضجيج والحركة...يتعامل بذكاء وعقلانية مع المواقف وكثيراً ما نصحني ولفت انتباهي لأمور لم أكن منتبهة لها.....

كان نعم الصديق...دائماً....

ليلى...إنتِ عارفة إنيّ بفضل صحبتك عن مشيرة... -

- عارفة يا هادي...بس مشيرة برضو بتزعل لما بنسيبها ونمشي لوحدنا ع الشط لازم نراعي مشاعرها يا هادي ...

- آه ...بس هي بتغلّس عليّ دايماً وأنا مبقتش قادر أتحملها .

- معلش مانت عارف إنها بتحبك,,..؟

- آه عارف وصارحتني بحبها...بس أنا مش بحبها...مش غصب يعني .

- معلش يا هادي...إحنا فتحنا عينينا على بعض ..من فضلك بلاش نقلب الصيف ده لعكننة زي الصيف اللي فات .

- خلاص يا ليلى...بس عايز أقولك حاجة ولازم تصدقيني.

- قول يا هادي...وانت عارف إني بثق فيك وبصدّقك دايماً.

- أنا بحبك ..

- بس أنا ...مقدرش ؟

- متقدريش ليه؟ عشان مشيرة.؟ واحنا ذنبنا إيه...هي بتحب من طرف واحد ...بس أنا عايز أعرف إنتِ بتبادليني شعوري ده ولا لأ ....

....توقف هادي فجأة عن السير...وواجهني

- عايز أسمع ردك دلوقتي..

- هادي أنا ....

فجأة وبدون سابق إنذار...طبع قبلة على خدي

- هادي انت بتعمل إيه...

- مبعملش...بثبت لك إني بحبك

- وهي البوسة إثبات للحب!!..

- مبتسماً بمكر شديد .. آه طبعاً إثبات..فيه طرق كتير أثبت لك بها حبي...وما تنسيش إني مش هاقدر أتجوزك دلوقتي لأني لسه لازم أخلص الثانوية والجامعة والجيش...يعني مفيش قدامي حاجة أثبت لك بها حبي الا البوسة....

بعدها أصبحت مشاويرنا على الشاطىء من يومياتنا الخاصة السرّية...وأصبحت العلاقة أشّد قوة...وسخونة...

أحببت هادي حب المراهقة...ولكنّي كنت على أتم الإستعداد أن أبتعد عنه إن احسست لوهلة أنه يحب مشيرة أاو يكّن لها أية مشاعر....ولكني كنت أمام أمرين احلاهما مّر...ان بادلت هادي المشاعر كسرت قلب مشيرة...وإن لم أبادله..كسرت قلبي وقلب هادي...فقررت أن أصارح مشيرة بالأمر ..وأرضى بحكمها...

- مشيرة..عايزة أقولك على حاجة بس ركزي معايا من فضلك... وسيبي الهيدفون دلوقتي...

- عايزة إيه يا ليلى ....أنا مش فاضية لك.

- بطّلي سخافة بقى....اقفلي الزفت ده عايزة أقولك على حاجة مهمة.

- حاجة إيه...هادي قالك حاجة؟.

- هادي.؟ هايقولي إيه؟ مش فاهمة «

- لا أبداً...بس أصله بقاله فترة بعيد عني...بسببك يا ليلى.. أنا فاهمة اللي بينكم...وما تفتكريش إني مش بشوفكم كل يوم وانتم بتتمشوا سوا ع البحر .....إنتِ فاكرة إني هاسيبهولك...بعد ماكان بيحبني.....أنا فعلا حبيته....خصوصاً إننا كنا السنة اللي فاتت في المصيف مع بعض...قبل ما مامتك تسمح لك إنك تيجي معانا ...بصي...أنا مش عايزة أسيبه...وإنتِ لازم تبعدي يا ليلى...هادي.. وأنا بنحب بعض...وإنتِ جاية تاخديه مني..

يا إلهي...كان حديث مشيرة ...صاعقاً...سخيفاً...أنا لا أحب الدخول في مثل هذه المهاترات...ولا أريد ان أخسرها أو أخسر هادي...اذن فليكن...سأبتعد...سأتعلل بمرض ما...كي أرجع القاهرة... وأتركهما سوياً...لم أعد أرغب في هذا الهراء...

وكان آخر صيف أقضيه بصحبة أقاربي ...رجعت القاهرة وأنا

حزينة....وغاضبة من رعونة مشيرة !!

انتبهت من الذكريات على إحساس مؤلم ..السيجارة حرقت إصبعي للمرة المليون ..قررت الخروج...هرباً من الماضي.....

ولكن لا أعلم اين أذهب هذا الصباح...لا بأس سأتزّين وأذهب إلى المجهول ...بدون نوايا مسبقة ..

لبست جينزي المفضل وشوميز روز ووضعت أحمر شفاه فقط ورفعت شعري ذيل حصان...حملت حاسوبي وانطلقت إلى المجهول ..

نزلت إلى شوارع منطقة التجّمع الخامس المحيطة بمسكني...يا إلهي متى حصل هذا التطور السريع...هل كنت مغيبّة عن الدنيا أم أن الزمن سرقني وسرق مني سنوات طوالاً...كيف لم أنتبه للزمن الذي سبقني كل هذه المراحل...توقفت عند مجمع الداون تاون كي أتناول فنجاناً من القهوة ....

وبرغم أنني لا أحب مذاق القهوة التجارية في المقاهي إلا أنني أجبرت نفسي على الجلوس وطلب فنجان من الإسبرسو المزدوج..

في الطاولة القريبة مني كان يجلس رجل وامرأة في العقد الثالث من العمر يتهامسان بصوت منخفض.

أذكر عندما كنت أصغر سناً..كانت لعبتي المفضلة هي تحليل

البشر..من نظراتهم لبعضهم البعض..أو من خلال لغة الجسد.

هيا العبي لعبتك المفضلة مرة أخرى... واكتشفي الألغاز...

حسناً إذن...فهذه المرأة تحب من تجالسه بشدة ، عيناها تنّم عن مقدار كبير من الحب ، وجلستها وهي مشدودة نحوه بكل جوارحها تؤكد هذا.....وصوتها المنخفض يدل على إستكانة...وخضوع....

كانت امرأة جميلة الطلّة...منمنمة الملامح ...صورة معبّرة للجمال الشرقي ...تزيّن وجهها ابتسامة ساحرة.....

كانت متأنقة تلبس شوميزا من الحرير البيج وسروالاً أسوداً لامعاً وصندلاً أسود بكعب عالٍ

وتضع أحمر شفاه خفيفاً...كل مايزينّها أحمر الشفاه فقط.

أما الرجل فكان لا يمّت للوسامة بصلة...ملامحه تعبرّ عن حالته المادية الضعيفة.....واسمراره يقول إنه من صعيد مصر أو النوبة ....

ما لفت انتباهي أنّه كان يتلفّت حوله كثيراً....أحسست بقلقه.. نظرت على بنصره الشمال..إنّه يلبس دبلة زواج .....أما المرأة فكانت لا تلبس دبلة.....إذن هي ليست زوجته كما هو واضح.....

تشاغلت بالنظر إلى حاسوبي وكتابة بعض الكلمات..عندما لفت نظري أنّ الرجل يتابعني بعينيه ....

فجأة سمعت صوت بكاء المرأة الأنيقة...كانت تبكي بصوت مسموع , برغم أنّه منخفض...إلا أنّ قلة عدد شاغلي المقهى جعلت الصوت مسموعاً....

كان الرجل يحاول السيطرة على الموقف..ولكن دون جدوى ....

ياترى هل هي تستعطفه كي يرجع لها..أو كي يتركها.؟

فشلت في تحديد السبب...وفضّلت أنّ أنصرف...فيومي لا يتحمل هذا الهراء... طلبت الحساب ورحلت .....

يا الله ...لماذا أشغل نفسي بالغرباء...ففي أول خروج من سجني الذي أخترته لنفسي أنشغل بالغرباء.....

لن تتغيري يا ليلى ستظلين مشغولة بهموم بالبشر ...حتى عندما تقررين الإنفراد بنفسك والخروج للإستمتاع بنور الصباح المبكر ...

نظرت في مرآة العربية...وعدّلت أحمر الشفاه وانطلقت مرة أخرى إلى المجهول .

رن جرس المحمول...الرقم غير مسجل..

- ألو ..

أيوة مين...-

- مدام ليلى..

- أيوة..

أنا موفّق ..-

موفّق مين ..-

موفّق سكرتير رئيس التحرير..-

- أهلاً موفّق ...خير؟ .

أبداً كنت بصبح عليكِ بس ..-

- صباح الخير.... أي خدمة ..

بصراحة أنا عايز أكلمك بقالي فترة بس متردد..-

صمت تام لا أسمع منه سوى صوت أفكاري الملعونة ...موفّق سكرتير رئيس تحرير الجريدة التي أعمل بها...رجل في العقد الخامس من عمره...أرمل....يبحث عن زوجة..وكثيراً ما حاول لفت انتباهي بتصرفاته الخرقاء..

!؟ ولكنني في كل مرة كنت أصّده بأدب ...هذا الصباح قررت ألا أصده لا أعلم لماذا

- خير يا موفّق .. فيه حاجة ؟!!

- أبداً يا ليلى واسمحي لي أشيل التكلفة بينا ...أنا عندي مشكلة وكنت حابب أقابلك عشان أحكيهالك ..انتِ طبعا بتحلي مشاكل القراء .. مش هالاقي حد أفضل منك لمساعدتي....

طيب يا موفّق مفيش مانع...ممكن ترسلها بالبريد وأحلّها... -

لا مشكلتي مش عايز مخلوق غيرك يعرفها. -

مممممممم طيب اتفضل..-
- لا لازم أقابلك شخصياً..مينفعش بالتليفون ...

يا إلهي ....حتى عندما قررت التعاون والتحدث مع رجل ما... يريد أن يستغل الموقف تماماً..

طيب إمتى وفين..؟!-

حضرتك فاضية بعد ميعاد الجرنال ممكن أقابلك في الكافيه اللي جنبه. -

طيب الساعة خمسة كويس؟ -

تمام هالاقيكي هناك خمسة بالظبط. -

اوكي.. -

أغلقت الهاتف وأنا أنظر للوقت...الساعة الآن الثالثة عصراً أمامي ساعتان قبل مقابلة هذا الغير موفّق بمشكلته الخيالية...

أعلم أنّه يريد أن يفتح معي حواراً ما...وقد لا يكون عنده مشكلة فعلية..هو فقط يريد فرصة للتحدث لي..

أخذت نفساً عميقاً....وقررت الذهاب للمول القريب من الجريدة..أشترى بعض الملابس والاحتياجات الضرورية ، وأكون قريبة من الكافيه كي لا أتأخر عن الميعاد..

كانت الخامسة تماماً عندما دخلت الكافيه...ألقيت نظرة على الموجودين...لا أرى موفّق

اخترت الجلوس إلى كرسي بجوار النافذة...طلبت فنجان قهوة .. واشعلت سيجارتي العشرين وسرحت في الماضي رغماً عني..

- ليلى...إنتِ ليه اتصرفتي كدة ساعة الحفلة؟

- اتصرفت إزاي يا أحمد مش فاهمة بالظبط.

ليه رفضتِ حبي ساعتها وحسستيني بأنك مش بتحبيني .؟ -

اعتدلت في جلستي..وأشعلت سيجارة ونفثت دخانها قبل أن أكمل حديثي مع أحمد

- شوف يا أحمد...أنا كبنت...عندي تصور عن الرومانسية والحب والمصارحة بالحب...مختلف شوية .

لما رحنا الحفلة أولا أنا كنت متوترة لأني معرفش حد...ثانياً لأن المكان كان دوشة وزحمة وناس بترقص وناس بتسكر.. يعني التوتر من كل ناحية ، الحب يا أحمد محتاج مساحة, والمصارحة محتاجة الوقت المناسب . مينفعش إنك تصارح واحدة متوترة بالحب في حفلة كلها دوشة في بيت ضرتها؟

ضرتها مين يا مجنونة ..نهى؟؟؟ -

- آه اعتبرتها ضرتي فجأة معرفش ليه جالي الإحساس ده..

- بطّلي هبل إنتِ عارفة اني بموت فيكِ ومفيش حدّ تاني في حياتي غيرك..

- عارفة..وعرفت ده أكتر لما بعدت عني الأيام الي فاتت . كنت هاموت أشوفك...أشمك..أسمع صوتك...أحضنك..أبص في عينيك ..

كنت بجد هاموت يا أحمد..أنا حتى الأكل قاطعته...جسمي وقلبي كانوا رافضين مظاهر الحياة من غيرك..أنت فاجأتني مش أكتر , وكنت في مود مش لطيف ساعتها...رد فعلي كان غبياً أنا عارفة بس ده اللي حصل ....

لمّا روّحت البيت....قعدت أفكر...وأنا يهمني إيه من كل ده... أحمد بس اللي يهمني...كان لازم أركز على أحمد وأسيبني من كل التوتر الي حواليّ...بس أوعدك يا أحمد...بعد كده..مش هاركز غير عليك إنت...هاتبقى الهالة اللي بتنورلي حياتي ..والباقي كله مش مهم.....

لثم يدي...وجبيني...وخدّي...ووووو ..

*****

- مساء الخير...آسف اتأخرت شوية في الجرنال غصب عني.

نظرت له من خلف دخان سيجارتي البائسة ...

- أهلاً موفّق اتفضل ولا يهمك..

جلس وهو يلهث ويتصبب عرقاَ...خلع نظارته المليئة بالعرق والبخار .وبدأ ينظف زجاجها وهو يختلس النظر لي من خلف سحابات الضباب المتصاعدة من الدخان .

سعل قليلاً...وشرب كوباً من الماء..وأنا صامتة تماماً..في انتظار ما سوف ينبثق عنه هذا اللقاء السخيف .

ليلى أنا كنت عايز أتكلم معاكِ من فترة...بس دائماً كنتِ بتصديني بأسلوبك...-

أنا .. بصي مش هأعرف أزوّق الكلام...أو أطول في الشرح ..أنا معجب بكِ ونفسي آخد فرصة للتقرب منك...بس خلاص..

بالضبط ماتوقعته منه...فهذا اللطخ موفّق كان دائماً يحاول التقرب منّي بأسلوبه المنفّر...لا فائدة ترجو منه أبداً ..لا يعرف كيف يتعامل مع أنثى...بالتأكيد زوجته ماتت كمداً بسبب إنّه لطخ ...

سحقت سيجارتي المسكينة في طبق السجائر بشكل قاسٍ...لدرجة إن جمرتها لسعت طرف إبهامي ولكنى لم أعبأ بالألم ..

- موفّق ..انت بتقول إنك معجب بيّ من فترة وبتحاول تصارحني بإعجابك.. وأنا مصدقاك

بس عايزة أقولك حاجة...انت متعرفنيش...متعرفش غير اللي أنت

شايفه ..شكل .. مظهر..وظيفة بعملها...نصائح بقولها للقراء..

ممكن متكونش بتعبّر عن شخصيتي..أنا للأسف مش هاقدر أديك أمل إني هاتجاوب معاك...لأن الإعجاب والحب عندي مختلف تماماً....الإعجاب ممكن يوصل لحب ...بس لما يكون موجود..وللأسف أنا معنديش إعجاب بك...وده مش عيب فيك على فكرة ..

ممكن يكون عيب فيّ أنا ...لاني شخصية مركبة سيكوباتية .

صراحتي ممكن تكون قاتلة لي قبل ما تقتل غيري.. اعذرني...أنا بحترمك جداً بس مقدرش أوعدك او أتجاوب معاك بمشاعر تانية ..

- بس يا ليلى...كنت عايز فرصة...فرصة بس عشان اثبت لك حبي..أنا أصلي ..حاولت إني أنساكِ ..او أبطّل أهتم بك..او أفكر ...بس للأسف معرفتش...معرفتش أشوف ست غيرك...هاتسأليني إزاي..؟؟ أقولك معرفش...يمكن حب من طرف واحد...يمكن عشان انتِ مثلي ملكيش حد وعايشة لوحدك...أنا بعد مراتي ما ماتت الله يرحمها عايش في عزلة...بنتي اتجوزت وهاجرت...ومش بشوفها من ساعتها...معنديش إلا الكناريا بتاعتي..ومتابعك

في الجرنال...في مقالاتك...في كل حاجة متابعك وعايش معاكِ وبكِ ..عموماً فكري...ومترديش دلوقتي...خدي وقتك...أنا بعرض عليكِ قلبي...وأتمنى إنك تقبليه

طلب شيك الحساب.....والصمت ثالثنا.....غادرت...بدون أن أتلفظ حتى بكلمة وداع.....

كيف أصبحت بهذه الشراسة ومنذ متى؟ لا أعلم... كل ما أعلمه أنني مرتاحة لقوتي الظاهرة أمام المتطفلين ...ما مررت به من مواقف علمتني أنّ الضعف قاتل أصبحت لا أحب أن أظهره أمام البشر خصوصا الرجال المتنطعين ..

مررت على «عم عبده « الذي اندهش من خروجي من المنزل وأخذ يرحب بي بطريقته التي تسعدني دائماً .. بعض القهوة الطازجة.. وهدية التونة لخليلتي الشيرازية ..

طلبت منه بعض الطلبات لإرسالها لاحقاً ورجعت إلى البيت متعبة مثقلة بالأفكار....

فتحت حاسوبي وكتبت بعض المقالات..وخطر لي أنني منذ زمن لم اكتب خواطر رومانسية تعيد التوازن لروحي ، فكتبت..

الحصار يقتحمني ويأسرني...يحتلني كلما اختليت بنفسي ....حتى بت أعتقد ان رأسي مسكنك..وقلبي وطنك ..وعيني مرآتك..محاصرة أنا حتى النخاع...تأتيني على حين غفلة..لا دواء يستطب به منك.. ولا شفاء منك إلا بك.... محاصرة أنا بك....!!

- يابنتي إنتِ وأحمد بقالكم أربع سنين مع بعض ...وكده كتير إنّه مايحاولش يتقدّم أو يخطبك حتى...

. يووه يا ماما كل مرة بتقوليلي الكلام ده وبقولك إنّه مش هايتقدم إلا لما أخلص كليتي-

- هي الخطوبة هاتمنعك تكملي كليتك يا ليلى ولا إيه . مش كفاية إنكم داخلين خارجين ولا كأنه جوزك ...الناس بتتكلم ....

- إنتِ عارفة إني ميهمنيش كلام الناس...أنا مش هاتجوز إلا لمّا أخلص كليتي ..من فضلك يا ماما سيبيني أنزل دلوقتي عشان اتأخرت ...

طبعت قبلة على جبين أمي التي أصابها الزمن .. فأصبحت فجأة عجوزاً بعد وفاة أبي... كل وقتي في الكلية أو فى حضن أحمد ، وباقي الوقت نائمة .. هاربة من العجوز القلقة ، حالمة بضمّة قويّة فى حضن من أعشق...! ..

أمي تموت قهراً كل يوم .. و هي تراني أحادث أحمد وأقابله ولا تستطيع أن تفعل شيئاً يمنعني عنه...كل ما تفعله هو النصيحة والدعاء لي بصلاح الحال .. وأنا أشفق على عجزها تجاهى وكأنّ الزمن لم يكتف بها .. فزادها هماً بى ...!

لا أنكر أني أتضايق كلما حاصرتني بأسئلتها المُدبّبَة المعتادة... ولكني بت أتعاطف مع دوافعها...فهي تريد أن تتطمئن على ابنتها قبل أن تذهب لبارئها - خصوصاً أنّ الطبيب في آخر كشف لها طلب

منها ألا تجهد قلبها أكثر من اللازم ..

أحمد مش راح أسألك بتحبني أدّ إيه...لا سؤالي إنت هتحبني لإمتى ..؟؟ -

- سؤالك غريب يا ليلي الحب ملوش نهاية ، ليه بتسألي سؤال صعب كده وملوش إجابة عند بشر..

أبداً أصلك بقالك فترة متغير..من ساعة ما خلّصت الكلية وانت بعيد شوية...لا شويتين -

أنا في سنة رابعة وإنت بتشتغل .. لدرجة إني مش بشوفك إلا كل كام يوم ...بنيجي هنا بنتقابل

وبنقضي كام ساعة مع بعض في السرير...وبنروح حتى بدون ما نخرج أي مكان نتفسح فيه

أنا بجد محتاجة أستقر وأرتاح من حياة الظلام .. وسرقة المتعة اللي عايشاها معاك دي...

لف ذراعه القوية على خصري وتوسّد صدري ..قبّلني قبلة طويلة

حيث أحب ,

وكأنّه يقيس رغباتى بمقياس ريختر الشبقى .. داعبنى .. ثم اعتدل قائلاً..

- إنتِ عارفة ظروف شغلي يا حبيبتي .. بحاول أنّي أعمل لنفسي شهرة ومكانة يعرفني الناس فيها ، متنسيش إن شغلنا في الإعلام .. ولازم أبقى مشهوراً عشان نجاح الرجل في عمله اهم نجاح...

بس ... - عارفه ..

- بس إيه...

.. بس أنا كمان محتاجة إنك تاخد خطوة في موضوعنا-

بعد وفاة بابا .. أنا وماما بقينا لوحدنا ومش بنشوف بعض تقريباً إلا الصبح وأنا نازلة الكلية

وهي نفسها تتطمئن عليّ ..مش عارفة ليه مش متطمئنة لصحتها اليومين دول...

وكأنّى أدفعه ليحتوينى .. ويعتصرنى فى النور ... ..

خلّصي السنة دي .. وأوعدك آخر السنة هاتقدم وأخطبك وأرتب كل حاجة متقلقيش .-

أشعلت سيجارة بعصبية ..أخذت نفساً عميقاَ..نفثته في وجهه الوسيم .. ودفعته إلى سرير الرغبة .. أحاول إطفاء توترى ..وإنتحاب الأنثى الثكلى بى..!! وغرقنا في قبلات جديدة .

عنما احببتك لم اكن اعلم ان حبي لك سيكون قيدي الازلي
وبرغم اني امرأة حرة لم اتعود القيود فأنا اكثر حرصا على قيدي منك
فهل رأيت سجينا يعشق سجّانه ؟

انتهت سنتي الدراسية الرابعة بامتياز مع مرتبة الشرف..وتم تكريمي من عميد الجامعة ولفيف من الاسأتذة ودكاترة الكلية ...
أحمد كان مشغولاً كالعادة...ولم يحضر..نهى فقط كانت موجودة بحكم عملها كمعيدة...وجوداً بارداً..لا يخطؤه الإحساس....
تم عرض منصب معيدة عليّ ...ولكنني رفضت المنصب .. لم أرد أن أصطبح بوجه نهى كل يوم ....
لا يغريني صباحها المفعم بالسلبية تجاهي .....قرّرت أن أخوض الحياة بشهادتي بدون مناصب تربطني بالكلية ...أما أحمد فلم أعد أراه إلا على فترات بعيدة...وأمي توفيت بعد صراع مع المرض.. وأصبحت وحيدة تماماً في الحياة ....

أصبحت أميل أكثر إلى حياة السهر....والشلل...والأصدقاء...وكل هذا بمفردي...أحمد كثيراً ما اعتذر عن لقائي في الآونة الاخيرة .....

وأنا ..تهيأ لي انني لم أعد أكترث....حتى يوم الأحد الأسود..وسميته « الأسود « لأنّ حياتي تلوّنت بلون الغضب الأسود إلى الأبد .....

ليلى...مش ده أحمد و...نهى . -

خطفت الجريدة من يد مشيرة...وقرأت وقلبي ينبض بعنف...

-«.....»

انتوا سبتوا بعض إمتى وليه يا ليلى...عمرك ماقلتي لي إنكم سبتوا بعض . –

- مسبناش بعض...الحياة سابتنا شوية شوية..هو ميستاهلش واحدة مخلصة مثلي...نهى وهو يستاهلوا بعض..

- على رأيك دي مخلتش دكتور محاولتش ترتبط به..ويظهر إن ضغط الأهل عمل عمايله...خصوصاً مع الملايين والمصالح المشتركة ..

خيم الصمت العنيف على جلستنا....مع دموعي التي لم أستطع إيقافها ...

أحسست برعشة برد...أو ألم ..تعتصرني ...تزهق روحي فجأة .... قوة أكبر من قوتي على تجاهل الألم..يا الله.. الألم نفسه الذي

أحسسته عند وفاة أمي

إعصار يخترق فؤادي ويبعثرني إلى المجهول ...

أنا حاقوم بقى يا مشيرة مش قادرة..حاسبي لي من فضلك... سلام ..-

مشيت يومها لا أدرى كيف وصلت المنزل ..

خلعت ملابسي في الطرقة...ودخلت تحت البطانية..أحاول تهدئة الرعشة التي اجتاحت كياني

لم أحاول الإتصال بأحمد أبداً بعدها ولا هو أيضاً....

لم أرد أن أسأله لماذا.... لا أريد مواجهته....أرأف بنفسي من سماع كلام قد يؤلمني ممن كان يوماً أعزً وأقرب الناس... لقلبي وجسدي ....

جل ما آلمني اني اعيش به...وهو كان يتعايش بي..

هذا الجسد الذي كان بالنسبة له معبداً..يتعبّد به في ليالي الشتاء الطويلة...هذا الجسد

الذي استهلكه إلى حد الشبق ....ولم يمنعه أبداً ما فعلته من أجله عن طعني في صميم القلب ..

يا الله...ألمي لا يوصف..لا يغيب..ولا يموت ...

ظللت جثة هامدة في سريري اياماً وليالي طوالاً..يوقظني الألم والدموع..فألجأ للمهدئات حتى أغيب عن الوعي ....

سجنت نفسي في المنزل اياما وليال طوال...لا أخرج..أهملت في حياتي...ونظافة المنزل...فقدت الاتصال بكل من حولي...لا أفتح الباب لبشر إلا للبقّال .. يحضر طلباتي فقط...حتى مشيرة...لم أرد على مكالماتها الكثيرة ..

إلى ان سمعت جرس الباب وطرقاَ شديدا...

افتحي يا ليلى أنا عارفة إنك جوه .-

لم أرد على مشيرة ولم أحاول القيام من مكاني ..

- أنا مش هامشي من هنا...ولو مفتحتيش...أنا هخلي البواب يكسر الباب..أحسن لك افتحي ..

قمت بتثاقل المحتضر ....فتحت الباب وتركتها واقفة ورجعت إلى الكنبة ....

- إيه الي إنتِ فيه ده يا ليلى..مش كفاية سبتك شهر...كنت بطمئن عليكي من البواب...أساله عنك ...ولما يطمني أمشي... محدش يعمل أبداً اللي إنتِ عاملاه ده ..

كانت تحدثني وهي تلملم أكياس القمامة...وبواقي الطعام... وتلم الأطباق والأكواب من فوق الطاولات...وعلى الأرض...

بصي أنا النهاردة مش هاسيبك..يلا قومي خدي شاور والبسي عشان هاننزل . -

روّحي يا مشيرة...أنا مش عايزة أشوف حد..ولا حتى انتِ . -

لا أنا قلت لماما إني هابات عندك كام يوم...فمتحاوليش أنا جاية بشنطتي , -

وجايبة لك معايا شوكولا...وعصاير...وكمان سجاير حشيش ملفوفة عشان نقضي مع بعض الوقت ومنفكرش بالرجالة اللي مبقتش رجالة ...

- حشيش إيه بس يا مشيرة...إنتِ عارفة أنا مش بشرب حاجة من دي .

طب استني بس لما تجربيه..هايعجبك خصوصاً في حالتك دي .-

صمتّ وتركتها تنظف المنزل...ثم خلدت إلى النوم...دون أن تحاول التطفّل عليّ ..

استيقظت على رائحة طعام شهية تملأ أرجاء المكان ...

قمت من مكاني تعِبة...تجرني الرائحة الشهية جراً إلى المطبخ...

- أخيرا صحيتي , يلا كويس أنا خلصت الاكل عاملة لك دقيّة بامية بالضاني تاكلي صوابعك وراها مع رز بالشعرية بالسمنة البلدي.. عارفة إنك بتحبيهم....»

ارتحت لمشيرة وأسلوبها المحّبب والمصرّ على الإعتناء بي..وقررت

الإستسلام لها تماماً

بعدها تلونت حياتي بطعم الجنون ...

مع مشيرة عشت حياة بوهيمية...تعوّدنا أن نسهر كل ليلة مع شلة أقل ما توصف به أنّها ضائعة, معظمنا...كان فاشلاً في غرامه... في دراسته.. أو أحلامه....فأصبحنا منبوذين بإرادتنا.....معظم أوقاتنا كانت في ديسكو مشهور في الزمالك بعد منتصف الليل...لا أحد يسأل عنا..ولا نسأل عن أحد..منقطعين عن الحياة الاجتماعية فيما عدا اللهو والسهر والعربدة

كثيراً ما بت ليالي قضيتها في بيوت رجال غرباء.....أنا ومشيرة..... كنا ثنائياً مثيراً...هي بمعارفها...وأنا بجسدي.... ...

- ليلى .. تعالي أعرفك على عصام...مجنون موت..هايعجبك..أنا عارفة ذوقك بتعشقي المجانين...المغناطيس بتاعك مش بيشتغل إلا معاهم ..

أهلاً ليلى.. -

أهلاً عصام..-

طبع قبلة على خدّي...واعتصر خصري بأاصابعه بطريقة لها دلالة أرضت انوثتي المتوهّجة...!

عصام كان شاباً وسيماً...بل إنّ وسامته كانت تضاهي وسامة عمر الشريف في ريعان شبابه

شاباً مفعماً بالحيوية...نظراته كانت مزيجاً من الغرور والشقاوة....

يرتدي أفخم الملابس....ويدخن أغلى أنواع السجائر الملفوفة بأفخر أنواع الحشيش ..ويركب سيارة آخر موديل.....ابن أكبر تاجر ماشية ..حياته كلها لهو وسهر وصخب ونساء...

لا يستمر في علاقته مع فتاة أكثر من شهر..وبعدها يمّل ويبحث عن غيرها ترضي رجولته المتدفقة....وفحولته الظاهرة.....هكذا يقضي وقته بعد رسوبه المتكرر في كلية الطب..

التي أجبره والده على الإلتحاق بها....كان ينفق المال ببذخ شديد.. بل كان هو الممول الأوحد لشلتنا الضائعة ...

أعجب بي منذ أن رآني أول مرة...وطلب من مشيرة أن تقدّمه لي ..

أعجبني فيه أكثر نظراته المشتهية لجسدي..كان ينظر لي كأنني وجبته المفضلة....يشتهي جسدي فقط وليس عقلي...وهذا ما جعلني أستسلم له في أول لقاء جمعنا ...

كان لقاء عاصفاً...أبدع في أن ينسيني كل ليالي الحمراء مع أحمد ..

امتشقني وكأنّه سيف صنع من فولاذ غير قابل للكسر ، وجعل من جسدي غمداً يرشق فيه هذا السيف العظيم....كنت فرسته الجامحة..وكان فارسي الأبّي.....كل ليلة نقضي سهرتنا نلهو...نرقص.. نشرب حتى الثمالة ..ونمضي الليلة في شقته بالقرب من الديسكو.... ويطلع الصباح ونحن لا نتعب من أجسادنا حتى وإن تعبت أجسادنا منّا....

كانت الغواية أصل الحياة..أصل الوجود....أصل العشق غير المباح.. كنا نرتشف طعم الغواية...ننزلق بداخلها ...نحطم أسوارها وكل ليلة نرسل الحرس والعساكر إلى الحدود...نذبحهم على النواصي ...نعربد في مدنهم ونطلق صيحات النصر.....وندعهم يلملمون خطاياهم عن جدران الخطيئة.....!!

هكذا استمرت علاقتي بعصام شهوراً طويلة وكل مرّة أحاول التملّص من هذه العلاقة...كان

يعرف كيف يخضعني له مرّة أخرى فأقتل الفكرة في مهدها ..

..فأنا لا أريد حباً...بل أريد اشتهاء..أريد متعة تنسيني ألمي ..تنسيني احتياجي لأحمد

- ليلى..عايز أقول لك حاجة...

خير يا عصام مالك .. -

شوفي..أنا عرفت بنات كتير...قد ما يروح خيالك..مش هتعرفي عددهم..بنات أجمل منك-

أذكى منك.....أطيب منك كمان عشان إنتِ شريرة أغلب الوقت.. ومش حنينة عليّ أبداً ..

- عايز تقول إيه يا عصام...لو عايزنا نرجع أصحاب تاني دون السرير اوكي معنديش مانع ..

- شفتي !! أنا مش عارف أكمل كلامي بسبب تسرعك في الحكم على الأمور...اصبري شوية المرة دي واكتمي خالص....

توجّست خيفة...فهو منذ فترة ليست ببعيدة أصبح رقيقا في معاملاته.... يهاديني بالورود...والمشغولات الذهبية القيّمة ، يقضي كلّ ايامه معي.. لايفارقني حتى وأنا نائمة...إلى ان مللت هذا الحصار وهذه الحياة الماجنة...

لست أنا ..بل ليست حياتي....هذه الحياة الضائعة بلا هدف ...ولكني صمتّ..بانتظار ماتجود به قريحته بعد سيجارة فاخرة محشوة بالحشيش الأفغاني ...

في الواقع كان ثملاً أيضاً..فهو لا يكفيه احتساء الخمر فقط...بل يقبل على كل المسكرات .. احتساء حد الثمالة ...

بصي يا ليلى وبجد ومن الآخر .....أنا بحبك ..!! -

أسقط في يدي.....لم أعرف كيف أرد عليه ..هل أقول له أنني لا أحبه..أنا أحب صحبته فقط...هداياه..سيجارته الفاخرة..وحديثه المشوّق؟ أم أصمت.....قررت أن اجاريه في الحديث...فأنا أعلم جيداً ...آخر علاقة له كيف انتهت..الفتاة المسكينة....تعاني إلى الآن من كسر مضاعف في كتفها..ولا أريد كسب عداوته بهذه السهولة ...

- بطّل هزار يا عصام..يظهر النوع المرة دي أصلي..

- لا أنا مش بهزر يا ليلى...أنا بتكلم بجد .

- طيب والجد ده آخره إيه يا عصام .؟؟

- هانتجوزطبعاً ...أنا هأقول لوالدي يتقدم ويخطبك .

- هايتقدم لمين يا عصام ..؟؟ انت عارف إن بابا وماما تعيش انت . أكيد لكِ قرايب .. يتقدم لهم يا ستي ...-

نمت على صدره.... اعتصرته بقوة..ورغبة عارمة ..قبلّته قبلة طويلة...ثائرة...فيها كل الإغواء....

طيب يا عصام..خلينا ننام دلوقتي..وبكره نكمل كلامنا... -

احتضنني بقوة ...اعتصر جسدي الملتهب.....بطريقة لم يفعلها قط...قضينا ليلتنا بطريقة رومانسية ...شاعرية..لأول مرة..أحس بحبه...وليس شهوته فقط ....مما أثار قرفي..لا أعلم لماذا فأنا لا أحبه...ولن أحبه أيضاً..أنا مازلت أحب أحمد....

عندما قررت أن أتبادل مع عصام الحب الجسديّ ... شحذت

أسلحتي كي أغزو ضعفه واشتهاءه لي....لم يكفني حبه..ولا ضعفه... ولا اشتهاؤه .....

كنت أريده جثة هامدة...فقط كي أرضي غروري...بأنّ مثلي... قتلت مثله عشقاً ،

وفي الواقع المؤلم إن كل ما أفعله هو الإنتقام وعقاب جسدي الرخيص ...

هذا الذي اعطيته لأحمد بلا تردد...بالحب..واغترف منه...دون مقابل حتى الحب

وكل ما استطعت أن أفعله هو الضياع لنسيانه...ولكن... هيهات.....

بعدها...بدأت أبتعد رويداً رويداً ....اخترعت آلاف الأعذار....لكي لا أسهر مع الشلّة...تارة مريضة...وتارة أخرى..تعبة....أما مشيرة فلم تألُ جهداً في الضغط عليّ كي تعرف ما الذي

غيّرني...حاولت كثيراً أن تفهم....فاجأتني كثيراً بزيارات في منزلي... عيونها كانت تبحث عن أدلّة لابتعادي.....ولكنها لم تجد سوى اللامبالاة مني..تركتها تمارس كل ألاعيبها المعتادة بدون أيّ تجاوب مني...وآثرت الصمت...

مشيرة وبرغم حبها الظاهر لي...هي من أغوتني لحياة المجون

والسهر والعربدة...هي من فتحت لي باب الإنحلال....كانت تتقرب مني كي تصحبني معها إلى مجتمع الليل...كي لا تكون وحيدة ويكون معها شريك ....ميت الضمير....ضعيف الإرادة..يُقاد ..فينقاد بلا رادع...واختارت الوقت الذي كنت فيه أضعف من أن أرفض.....أو أفكر حتى بما آل إليه حالي بعدها...انجرفت...ضعت...ولم أتراجع..إلا عندما صارحني عصام بحبه وبرغبته بالزواج بي.....

لا أدرى هل عُقدتي مع أحمد وكذبه المستمر في التقدم للزواج جعلني أمقت فكرة الزواج....لم يثنه حبي وصدقي وإخلاصي عن التمتع بجسدي ...هذا الجسد الذي أصابني باللعنة .....حتى أمي ماتت كمداً...وهي تدعو لي بالستر..والزواج.....لن أنسى قط نظراتها , وهي تودعني لآخر مرة ولن أسامح نفسي أبداً ..على ما مرّت به بسببي أنا وأحمد...

لازلت أذكر ليلة رحيلها .....كانت تنام على صدري كالطفلة ..عندما توقف آخر أنفاسها....وأنا لم أستطع سوى احتضانها...بقوة.. والبكاء بلا صوت...حتى الصباح...كانت أمي...من أنجبتني....فهذا الجسد..كان بيتي عند نفخ روحي ، عند حضور نور الحياة.....

وكنت أنا بيته...عند مغادرته الروح وانطفاء شعلة الحياة به ....

إنتِ فين ؟ ...-

أنا في البيت يا عصام...خير مالك .-

- بقالي كام يوم بتصل بكِ حتى جيت البيت وخبّطت ومحدّش رد..مالك بعدتي فجأة...انتِ كويسة .؟!

- تعبانة شوية يا عصام....مش عارفة مالي...اكتئاب يمكن...بمر بمرحلة هدوء ....بعيد وبقيّم حساباتي مع نفسي..أشوف أنا عايزه إيه ..

طيب..ووصلتي لإيه ؟؟! -

- لسه مش عارفة...شوف يا عصام...أنا مش هاضحك عليك... علاقتنا كانت من الأول صحبة ورغبة مجنونة...وده أبداً مش سبب كافِ للزواج ..

معنى كده إنك مش بتحبيني وبترفضيني . -

- لا خالص..بالعكس إنت الإنسان الوحيد اللي قريب مني حالياً... بس كل الحكاية..إني مش لاقية نفسي في العلاقه دي ..

مش فاهمك...ومش عاجبني الكلام..لو فيه حدّ تاني قولي . -

- هو ليه كلامي يتفسر بالشكل ده يا عصام...صدقني..أنا بس مش عايزة أظلمك معايا في علاقة غير متكافئة ..

- طيب إيه رأيك نجرّب نرتبط بدون جنس ...ونشوف الحياة ماشية إزاي...صدقيني..أنا بحبك..ومتعرفيش إنتِ عملتِ إيه في

حياتي..يا ليلى أنا عمري ما أخلصت لواحدة.....كانت البنات عندي زي العربية اللي بغيرها كل سنة..زي السيجارة...أمتص دخانها وأرميها كالعقاب المحترق...إنتِ غيّرتِ كل ده...بقيتِ أهم من أي حد أنا عرفته وقابلته..بقيتِ كل حياتي أرجوكي...خلينا نرتبط... وبعدين قرري وأوعدك..هاحاول اني أكمل دراستي وأنجح..عشان تصدقي إني اتغيرت...

- طيب يا عصام..ابتدي إنت...وخليني معاك...بس من فضلك ماتضغطش عليّ في موضوع الخطوبه حاليا ...

زي ماتحبي..بس من فضلك ماتسيبينش...وهاتشوفي إني هابقى قدّ الوعد .-

لم يكن سهلا على عصام أن يتغير فجأة لمجرد إنّه أحبني...كان كثيراً ما يسهر...ويلح عليّ في السهر معه...أحياناً كنت أضعف فنسهر سوياً...ويحاول أن يغريني ان أذهب معه...او يأتي معي...ولكنني كنت أرفض....وكلما ازددت إصراراً على البعد عنه...ازداد إصراراً على التمسّك بي...لم يف بوعوده..لم يستطع أن يتوقف عن السهر واحتساء كل أنواع المسكرات

فيوماً..يذهب للكلية..وعشرة لا يفعل....كان كثيراً ما يتصل بي ليلاً في منزلي.....يطالبني بالحضور..وكنت أحياناً كثيرة لا أرد على الهاتف بعد منتصف الليل....أتعذر له هاتفياً في الصباح بالنوم مبكراً.....حتى

حدث ما حدث ...صحوت على صوت طرق عنيف على باب شقتي...

افتحي يا ليلى..أنا عارف إنك صاحية..افتحي....!-

تجمّدت مكاني ....لقد جنّ..عصام...لا أعرف كيف أواجهه وهو ثمل...ياربي ...ماذا أفعل...سمعت صوت جارنا الحج حمدي يصرخ بصوت عالٍ ..

- حد يطلب البوليس...الراجل ده سكران .

آدي بلاوي الست ليلى الي بتجيبها لنا آخر الليل . -

كان رد زوجته عاليا...مقصوداً به أن يصلني بهذا الكم من الحقد...فهذه المرأة كثيراً ما حاولت التدخل في حياتي بعد وفاة أمي.....ولكني كنت أصدها دائماً وهاقد أتت لها الفرصة كي ترد لي الكيل...وتصطادني...فتحت الباب لعصام الغاضب..الذي لم يكف عن الصراخ...والسباب

أمسكني من رقبتي وألصق جسدي بالحائط ....

إنتِ بتلعبي بيّ أنا ...ماعاشت ولا كانت اللي تلعب بعصام .-

مادت بي الأرض....كدت أختنق ...لا أستطيع التنفس وأصابعه _ التي كانت من اسباب سعادتي يوماً.....تزداد ضغطاً على عظام رقبتي...التي كادت أن تسحق تحت قبضته..

عصاااام..أنا بموت...اسمعني . -

نظر لي بشراسة...بغضب ..أحسست أنه سوف يقتلني إن لم احاول تهدئته...

فجأة حضر الجيران...حاولوا الإمساك به...ثار أكثر...وحاول أن يضربهم...ولكنهم كانوا أكثر منه عدداً.....

- حد طلب البوليس يا جماعة وهم على وصول .

حاصروه..فسقط كالثور الهائج , تنازلت عن المحضر بعد تدخل والده ووالدته

حاول لشهور طويلة أن يعتذر لي...ولكني لم أقبل اعتذاراته وطلبت منه الكف عن مطاردتي تماماً.....وعندما تأكد له رفضي.. وبشكل قاطع..ابتعد..كسيراً...ضائعاً ...

بعدها...أسدلت الستار على قصتي مع عصام وحياة اللهو والعبث...من حياتي....

***

فتحت حاسوبي..كي أطرد اشباح ألماضي..وأعيد ترتيب مقالاتي لإرسالها إلى الجريدة

لفت نظري رسالة إلكترونية ..كانت غريبة المحتوى..لأول مرة أقرأ رسالة من قارىء بهذا الأسلوب السلس في الكتابة ....واضح أن المرسل إنسان على قدر كبير من الثقافة ودماثة الخلق....

غاليتي ليلى -

ترددت كثيراً قبل إرسال رسالتي لكِ ...

ولكن ما دفعني أخيراً إلى اتخاذ قراري هو معرفتي الشخصية بك لسنوات طويلة ..

فأنا يا عزيزتي....عندما كنتِ في سنتك الجامعية الأولى...كنت أنا معيداً في كلية الإعلام

وكنت كثيراً ما ألمحك..وإنتِ تحضرين محاضراتي....

نضرة...كالوردة البتول...التي لم يطلها ندى الصباح قط ....

ابتسامتك كانت سر جمالك..وكانت سر إعجابي الدائم بك ، كنت أتابعك بنظراتي ...بإحساس خجل ..ولا أدرى بعد كل هذه السنين لم لا أزال معجبا بكٍ برغم أنني عندما يئست من أن ألفت نظرك...إلى أن تخرجتي في الجامعة ، وانقطعت أخبارك....

تزوجت وأنجبت البنين والبنات...حتى إني سميت ابنتي البكر بإسمك...

أنا يا غاليتي .. كنت أضع رهاني كله عليكِ من بين جميع الطلبة والطالبات....الحصان الرابح...كنتِ مهرة بالفعل , ولكنك كنتِ جامحة لا ترين الا أحمد.....وأنا كنت كل يوم أمنّي نفسي بأن يبتسم لي الحظ...وأن تسأليني أي سؤال يتعلّق بالمحاضرة لكي أستطيع بدء الحديث معك...ولكني أبداً لم أنل هذا الشرف..والآن بعد عشرة أعوام...تسلحت بقلمي...بأدبي ..بشوقي الذي لا ينضب..أن أتجرأ وأرسل لك رسالة....أتمنى أن تصلك ...وأن تنال حيزاً ولو بسيطاً من اهتمامك ..

المخلص دائماً د.محمود ..

يا الله..د.محمود؟ لم أتذكره أبداً...حاولت عصر ذاكرتي المهترئة ..أن أتخيل شكله..ولكني لم أفلح....تباً للنسيان...يمضي ويترك

الذكريات المؤلمة ساكنة إلى الابد كالأشباح.. في البيوت المهجورة.... ويخلف وراءه الأحلام صرعى....

فكرت أن أرسل له رداً مقتضباً ولكن.... لماذا لا يكون ردّي شكرا واهتماماً برجل عشت بداخله سنين طويلة...انتابني الفضول..... لمعرفة هذا المحمود...وأحببت أن أعرف لماذا أحبني كل هذه السنين بدون مقابل..أو دون مبادلتي لمشاعره..أو حتى معرفتي بوجوده من الأصل...فكتبت رداً عليه...

- عزيزي د. محمود..بدءاً دعني أشكرك على مشاعرك النبيلة... التي أضحت نادرة الوجود...فكيف لرجل أن يحب امرأة.....عشرة اعوام دون ان يطلب لقاءها ..أو أن يلمّح لها..أو تعلم بوجوده في الدنيا ...؟

فأنا يا سيدي امرأة تعلمت الحب على يدي أستاذ متمرس... أقنعني يوماً أن الحب عطاء....تواجد...احتواء وليس مشاعر تسبح في الهواء...درّبنى ان آخذ من الحب غايتي...ومن العشق وسيلتي للحياة ولم أصادف رجلاً مثلك أحب بلا طائل أو تبادل للمشاعر...

أشكرك مرة ثانية لإتاحة الفرصة لي كي أعلم أنّ الحب...قد يكون جارنا...حولنا ...نتنفسه دون أن نشعر به يحفّنا من كل جانب...كتب عليه أن يظل مسجوناً خارج القلوب المنكسرة ولا يقتحمها أبداً .. دمت لتلميذتك دائماً نعم الأستاذ المحب .

ليلى

أرسلت الرسالة وأشعلت سيجارة أخرى...وفي ثوانٍ..أتاني الرد مرة أخرى

غاليتي ليلى-

اسمحي لي أن أشكرك على اهتمامك بالرد واسمحي لي أن أتجرأ أكثر وأطمع في مقابلة منك...قد تضع النقاط على الحروف أكثر فأشرح لك ما استعصى عليكِ فهمه...وأبيّن لك ما في نفسي بشكل مباشر ..

المخلص للأبد د.محمود ..

لا أدرى بعد آخر رسالة من محمود كيف راودني الإحساس بأنني بطلة لفيلم هندي

تخيّلت نفسي ألبس الساري المرزكش بألوانه الزاهية...وأغني بصوت ناعم ...وحولي البنات يرقصن ...ومحبوبي يغنّي لي تحت شباك نافذتي المزروعة بكل أنواع الورود والزهور والفل والياسمين...ومعه الشباب يغنون ويرقصون ..ياللروعة...الحب يفعل المعجزات.. ولكن محمود يزعم أنّه يحبني من طرف واحد...وأنا لا أعرف له شكلاً او ملامح فلأقابله إذن ..من يعلم قد تتحول قصة الحب الهندية لقصة

حقيقية..أو تظل سراباً يعيشه صاحبه فقط ...

عزيزي د. محمود-

شرف لي أن أقابل أستاذي بعد كل هذه السنين...أرحب جداً باللقاء...هل يناسبك غداً الساعة 6 مساء في المقهى بالقرب من الكلية ولكنّي للأسف لا أذكر ملامحك ...وانتابتني روح الفكاهة وأكملت الجملة...هل ستضع وردة بيضاء في عروة الجاكت كي أعرفك ...أم تلبس الطربوش بالعكس ..؟!

- غاليتي..سأكون بانتظارك على أحر من الجمر ..ولا تقلقي عندما أحضر...ستذكرين ملامحي بدون طربوش...ولكن بالتأكيد مع الكثير من الورود الحمراء....

كعادتي كل ليلة...أمتطي ظهر غيمتي الشاردة ..حيث تحملني إلى ذكريات كانت في يوم ما من أحب اللحظات لقلبي..عوالم أضحت كثيرة.....بعيدة...شاهقة كبناء خرساني يرتفع ليلة وراء ليلة .....وكلما مررت بها أرأف بنفسي لما وصل إليه حالي..من برود وتحجر في

المشاعر...وانعدام الثقة .....

فهنا...كنت متعلقة بصدر أحمد...اتدفأ عشقاً..وشوقاً..وأصطلي بناره التي كانت برداً وسلاماً على جسدي المتأجج عشقاً ...وها هنا... كنت أترنح بين يديه مستسلمة لأحاديثه وهو يصارحني بحبه مراراً وتكراراً ....وهنا في هذه الجنة الوارفة...كنت أعيش العشق..مرات ومرات..

أمتطي عبثية المتعة..التي تحوّلت إلى كابوس أحمق يطاردني لما تبقى لي من عمر ...

وفي هذا الركن الوردي.....أنا وهو..نتحادث همساً...شوقاً... ويتحول حديثنا لقبلات تحرق ماتبقى لنا من أحاديث أخرى ...وأصحو ككل صباح مكدرة المزاج...أنفض الغيمات العابثة من فوق سريري ...أبعثرها كيفما شئت...وأجعلها تتحرق شوقاً لترحالنا الليلي المعتاد.

****

في السادسة تماماً وصلت إلى المقهى...كان في الشارع الموازي لكليتي القديمة .

شارع يعتبر هادئاً نسبياً مقارنة بشوارع القاهرة..المزدحمة ليلاً نهاراً .

وأنا أفتح الباب سمعت صوت رنّة جرس ..كان هناك جرس صيني معلّق فوق الباب...عندما يفتح يصدر صوتاً مميزاً ...تفحّصت الجلوس...فلم ألمح رجلاً جالساً بمفرده ..

أو تنطبق عليه مواصفات د.محمود كما تخيلته..رجلاً نحيفاً.. قصير البنية....يرتدي نظارة طبية سميكة العدسات...يلبس ألوأناً قاتمة...مع قميص قطني ناصع البياض.. وقور..هادىء...قليل الكلام... متحفظ...وجهه يوحي بالحزن ..

هكذا تخيلته...ولا أدرى لماذا ..؟

جلست في ركن قصّي...كانت أنغام الموسيقى الغربية الهادئة مناسبة جدا لتهدئة أعصابي المتوترة...قلة النوم...مع ترددي الكبير للحضور...مع الذكريات التي سوف يثيرها حوارنا عن الماضي ، كنت أجتر قلقي بالنقر على زجاج الطاولة...مع نغمات الموسيقى ..أشعلت سيجارتي المليون في محاولة فاشلة لاغتيال رئتي اللعينة واجتثاث

قلقي الذي كاد أن يجعلني قاب قوسين أو أدنى أن أطلق لقدمي العنان هاربة ...

فجأة سمعت صوت جرس الباب ..نظرت ناحيته.رأيت رجلاً طويلاً...رماديّ الشعر...وسيم الملامح هادىء الخطى...يقترب من طاولتي ..

أهلاً ليلى .-

أهلاً د.محمود .-

الحق يقال...كان محمود وسيماً بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ....وبطريقتي المتمّرسة التقطت ملامحه بسرعة ..جسد رياضي ممشوق...ملابس تدل على رفعة الذوق ..

يدان فيهما من الرجولة الكثير..أظافر نظيفة مقلّمة بعناية..حتى حذاؤه كان لامعاً نظيفاً.. يدل على تناسق ملائم مع مايرتديه من ألوان ....عيون خضراء مع رموش كثيفة..أنف إغريقي والشفاه فكأنما خلقت من أجل القبل فقط ....

لجمت مشاعر الأنثى بداخلي من أن تتحرك ...ورسمت ابتسامة لطيفة بريئة على وجهي الملائكي..وحاولت أن أركز على ماسيقوله

...كان يحمل باقة ورود حمراء..قدّمها لي..بكل لطف ..

لو كنت قدرت أجيب لك البستان كله..مكنتش هتأخر عنك يا ليلى .-

كان ينظر لي نظرة عاشق...متيّم...مغرم من أنفه حتى قدميه ..أما أنا ...فأحسست بتقلّص في عضلة لساني...لم أعرف بماذا أجيب..غير الشكر على الباقة العطرة ..

ياااه يا ليلى...أدّ إيه كنت بحلم بمقابلتك بقالي سنين..مكنتش مصدّق نفسي لما رديتي عليّ..تخيلت إني بحلم..حتى إني قرأت الرسالة عشر مرات..أو عشرين..مش فاكر...أنا حفظتها حتى ...من كتر ما قرأتها...آه صحيح ...إزيّك !؟

بعد كلمة إزيّك وابتسامته المشرقة.. أحسست براحة..أزالت عني رهبة اللقاء الأول...أحسسته يحاول أن يمتص توتري ..ويحتوي قلقي ..

- الحمدلله يا دكتور ..

- من فضلك قولي لي محمود بس..أنا هنا مش دكتور...أنا هنا محمود..وشاور إلى قلبي وأتمنى أكون هنا كمان محموداً ..

أسقط في يدي...فهو منذ حضر يسّلط رجولته الفذّة على أنوثتي الضعيفة ...ويسحق قوتي تحت إحساسي بالعجز المطلق ..ولكن يجب أن أتراجع قليلاً..وأهدىء الأمر...فأنا لا أعرفه مطلقاً...برغم إصراره على معرفته الوثيقة والقوية بي..

- محمود..ياريت تفكرني بالأوقات اللي كنت بتشوفني فيها... عايزة أفهم أكثر الحالة الي أنت فيها ..من فضلك

اعتدل في جلسته...وأسند أكتافه العريضة إلى ظهر الكرسي ...اتكأ على ذراع المسند...ونظر لي نظرة سلبتني ماتبقى لي من مقاومة .

- حاضر يا غالية .. بصي...أنا كنت معيد..اتعينت في أول سنة إنتِ جيتي فيها الكلية..شفتك أول مرة في المحاضرة..كنتي لسه تايهة ..مش عارفة حد...حسيتك خايف..قلقانة .. سارحة مكنتيش مركزة خالص في الشرح...وعذرتك .. بس وقتها كنت هاموت وأتعرف عليكِ...أعرف صاحبة الوجه الملائكي اللقب اللي أطلقته عليكِ ..

بتفكري في إيه...قعدت أبص لك وأنا بشرح حتى الطلاب لاحظوا ده عليّ

وأنا مخدتش بالي إلاّ لما لقيت ابتسامات كتير بتواجهني...وكتير من الإبتسامات

كانت موجهة ناحيتك...فقت وقتها ...واستنيت تسألني بعد المحاضرة..ولكنك مشيتِ بسرعة..وأنا حاولت ألحقك .. بس لقيت أحمد مستنيكِ على الباب...رجعت...وسبتك ..

وبقيت بتابع لقاءاتك بأحمد بعد كل محاضرة...حتى فقدت

الأمل تماماً...إنك تشوفيني...أو حتى
ألاقي فرصه أشرح لك فيها مشاعري ..

- ياه يا محمود...إنت رجعتني لسنين طويلة فاتت...معقولة إن فيه حد ممكن يكون متابع حد...والحد ده مش شايفه ...أنا كانت عينيّ متغمية كدة ...

- أنا لسة فاكر لون بلوزتك اللي كنتي لابسها أول مره شفتك فيها...حتى فاكر تسريحة شعرك كانت إزاي ..أنا فاكر حاجات كتير أوي...إنتِ نفسك نسيتيها عنك ...

أحمد كان واخد عقلك تماماً..والحقيقة إني كنت بحسده كتير ...حتى لما عرفت إنّه خطب زميلتي نهي...ماستغربتش...لأني كنت عارف في النهاية إنّهم لبعض

طيب أنا عندي سؤال يا محمود..ليه محاولتش حتى توريني نفسك...أو حتى تلمّح . -

مقدرتش...كرامتي كانت ع المحك...طالما فيه إنسان في حياتك.. كان لازم أبعد .-

- مممممم....معاك حق...أنا مكنتش شايفة غير أحمد ...أحمد الوهم الجميل المخادع اللي عشته أربع سنين .

- للأسف أنا كنت ارتبطت قبل ما أحمد يعلن خطوبته على نهى

.. ومكانش ينفع إني أسيب مراتي عشان أقولك تتجوزيني...لأني كنت خلاص اخترت حياتي ..

- طيب إيه اللي خلاك فكرت بيّ دلوقتي ..

أنا عمري ما نسيتك يا ليلى..اوعى تقولي كده تاني أزعل منك ...-

يا إلهي...إنّه يأسرني بأسلوبه الرقيق...فضلاً عن وسامته المزعجة... التي أصبحت عبئاً ثقيلاً على مقاومتى ...

- أنا كنت متابعك...حتى لما انضميتي لشلّة مشيرة..كنت بعرف أخبارك...وكتير حسيت إنّي السبب في اللي إنتِ فيه...حسيت إنّي إنسان سلبي , لأني ماحاولتش أتدخل....بس أنا أكتر من إنّي شايفك كنت حاسك وكنت عارف إنك ساعتها هاتتعاملي معايا كضحية من ضحاياكِ...

وكنت هابقى كارت محروق ...ففضلت الانسحاب والمشاهدة من بعيد فقط..اعتبريها سلبية

والحقيقة أنا عانيت من سلبيتي سنين طويلة..حتى فريدة..مراتي .. كانت كتير بتعاني من سلبيتي معاها...مكنتش ببقى على طبيعتي إلا مع ليلى..بنتي .. كنت بعيش معاها أحلى مشاعر...حتى إبني معتز...أمه اللي ربته...وأنا مكانش يهمني إلا ليلى بنتي وبس... عشان هي على اسمك ... عشت ليها ...فترة طويلة .. لحد ما بقت في سن المراهقة جميلة زيك...وأنا بقيت بقعد بعد الشغل كتير لوحدي..بقرأ كتاباتك...بشجعك...بثني علي المقالات الجيدة ..

بس مؤخراً قلت لازم أقابلك..وأقولك ...وأعرفك إني كنت دائماً موجود...زي ظلك...وقررت احوّل وجودي من الظلام إلى النور .....

محمود..انت بتقول كلام حلو...ومؤلم في الوقت نفسه..متخيل هايبقى رد فعلي إيه عليه..؟-

- مش عايزك تفكري...عايزك بس تسمعي وتفهمي دوافعي .. مش عايز إنك توعديني بحاجة...ولا أنا الحقيقة هاقدر أوعدك بحاجة .. أنا بس عايز تواصل...ألمس الحلم اللي عشته سنين طويلة في مخيلتي...وأحوّله لواقع .. أشوفك...أسمعك...حتى أشّم عطرك عن قرب..السجن اللي حبست نفسي فيه بعيد عنك...عايزك إنتِ بس اللي تفكي أسره...وتطلعيني منه..بس ..عشان أبقى ماسك إيدك ..

لمست أصابعه الدافئة بيدي المثلجة الأطراف...أحسست بدفء يسري في أوصالي...دمي بدأ يتحرك ودورتي الدموية انتعشت ...ياإلهي...هل هذا حب ...أم رغبة ...أم...احتياج...؟

انتفضت ساحبة يدي بلطف...وطلبت منه أن نتواصل على الاقل هاتفياً لفترة ما قبل أن نتقابل سوياً مرة أخرى...أو أخيرة...لا أعلم ..

أنهيت اللقاء على عجل..هربت منه ؟ ...لا أدرى..ولكنه أحس حتما بما انتابني في حضرته...فوافق على إنهاء اللقاء بأدبه وأسلوبه الرفيع..

بعدها ..أصبح محمود روتيناً يومياً في حياتي بقوة مشاعره ولطف أحاسيسه ..

اعترف لي بأنّه كثيراً ما أرسل مشكلة افتراضية كي أحلها له ضمن مشاكل القراء الأسبوعية....وأنّه كثيراً ما كان يكتب لي رسائل غرام لا يرسلها أبداً وأنّه لازال يحتفظ بها في درجه الخاص...ملفوفة بشريط أحمر حريري ...كنت أنتظر مكالماته اليومية...على أحرّ من الجمر ..

وكنت كثيراً ما أنتقد نفسي...وأتساءل هل أحببته فعلا..أم أنّه ملأ فراغاً كبيراً في حياتي , والأغرب أنّي ما أحسست بالفراغ إلا مؤخراً فقط ..عندما هاجمتني التجاعيد اللعينة وأحسست بخطر الشيخوخة المبكرة..والعيش وحيدة إلا من خليلتي ذات الذيل الأبيض ..

ماعاد يعنيني كثيراً أنّه زوج وأب...ماعاد يعنيني إلا أنّه يحبني فقط..مثلما كنت أتمنى طوال عمري ..حباً عذرياً .... حباً أفلاطونياً عظيماً..هذا هو الحب الذي تمنيته , وكنت دائماً ما أكذب على نفسي

, وأظن أنّ من أحببتهم او أحبوني كانوا فعلاً في حالة غرام ...

كانوا أوهاما...أو كانوا مجرد محطات ..وقفت فيها قليلاً كي أتعلم من الحياة ...

تقابلنا كثيراً..تقابلنا جداً...وكل مرة يقبل يديّ...ويهديني باقة فوّاحة من الورود الجميلة .

كان يبثني غرامه وهيامه في كل مرة بشكل يجعلني أنتشي من السعادة..ولم لا...فهو رجل وسيم يحبني منذ سنين طويلة حتى عندما تزوّج...هو لم يخنّي قط ، هكذا قال .. إنّها ليست خيانة ..و لكن لماذا عليّ أن أصدقه ! إنّه في النهاية رجل ..

و استفقت من شرودي على صوته ..

ليلى عايز .. أعترف لك بحاجة...بس مش عارف هتفهميني ولا لأ .. -

قول يا محمود..إنت عارف إني بحب أسمعك جداً..وأي حاجة هاتقولها..أكيد هافهمها صح .-

- بصي يا ليلى.. أنا من فترة طويلة..علاقتي بفريدة مراتي...علاقة أخوية تماماً , حتى إنّي بنام في أوضة منفصلة زي ما قلتلك قبل كدة... ومعنديش أية ميول عاطفية أو حتى جسدية ناحيتها...والحقيقة إنّي حتى مش بخونها..ولا حاولت ..

هنا بدأت تنتابني الشكوك...فهو وسيم جداً..تفوح الرجولة من ثناياه...وتعابيره الجميلة ..

؟! - طيب ده بسبب حبك ليّ ...ولا بسبب إيه بالظبط

مش عارف !..أنا مش حاسس إن ناقصني الموضوع ده أبداً...ولا حتى معاكِ .. -

بدأت أركز أكثر في تفاصيل الكلام..بدأت أنتبه لكلامه بشكل جعل ملامح وجهي تتقلص بشكل ظاهر ..

اتضايقتِ مش كده؟ .-

لا ..أبداً.. أنا بسمعك بس وبحاول أفهمك .-

- طيب ...كل اللي عايزه منك..إنك تفضلي معايا...عايز أعرف أنا ليه فقدت اهتمامي بالجنس الآخر ..ويمكن ده السبب اللي خلاني أطلب مقابلتك بعد السنين دي كلها....

هل حبي لكِ حوّلني لرجل معندوش أية رغبات جنسية ..لأني عشت سنين طويلة كل اللي في حياتي وخيالي إنتِ بس... كنت بشوفك إنتِ المرأة اللي عمري ما رح أمَل منها , أو حتى أزهدها.... ولما قابلتك...حسيت إنّي عايزك إنتِ وبس...عايزك بجد...ومش عارف بصراحة أكتر...عايزك تكوني إنتِ العلاج ..!!!

هنا تأكدت تماماً من شكوكي....فهو عاجز جنسياً ...ولا يستطيع

أن يمارسه مع امرأة...وحتى إن كنت أنا العلاج..فكيف أطمئن أن لم أمارس الجنس معه ؟؟

. أنا معاك يا محمود..مش هاسيبك..لحدّ ما تبقى كويس إن شاء الله -

- بحبك ...

- وأنا كمان...

انتهى اللقاء كالمعتاد...بعد أن أوصلني لمنزلي...وطبع قبلة على يدي ..ومغادرته دون أن يلوي على شيء .. يومها توقعت أن يطلب مني ان يصعد لشقتي..ولكنه لم يفعل ..

استمرت علاقتنا فترة اكتفيت فيها بالرد على محادثاته التليفونية ...و كنت أتهرب من المقابلة كل مرة بعذر مختلف ....نعم كنت أحتاج وقتاً للتفكير في علاقتي بمحمود ..

إنني لا أحبه ، فقط أحببت حبه لي و إخلاصه حسبما كنت أعتقد ، و أسلوبه في معاملتي

لكني منذ آخر لقاء أصبحت لا أتحمل سماع صوته الهامس بكلمات الحب..

بعد عدة إيام فاجأني محمود بالقدوم إلى بيتي في الصباح ...دون

موعد مسبق ,

فتحت له الباب و أنا بملابس النوم ....ولأول مرة أرى محمود غير مهندم...طويل اللحية...أشعث الشعر....تحيط الهالات السوداء بعينيه ..لأول مرة أراه عجوزاً...أو أرى عجزه على حقيقته ...

- خير يا محمود..

أبداً وحشتيني و كنت محتاج أتكلم معاكِ ...-

- آسفه يا محمود مش هقدر أستقبلك في البيت..في وقت زي ده , ومش هينفع نتكلم على الباب..خلينا نظبط ميعاد بالتليفون .

انصرف محمود غاضباً ..وبعدها تعددت إتصالاته ورسائله لكني لم أستطع الرد , كنت متأكدة أنّه بعد وقت سيفطن إلى موقفي الرافض أن أكون له مجرد وسيلة لإستعادة فحولته

بعد أن أراد بكلماته أن يقنعني أنّ حبه لي هو السبب في فقدانها ..لم يفهم أنّ عقلي هو منتهى عاطفتي..ومن لا يحترم عقلي..لا أحترم عاطفته أبداً .

أغلقت صفحة محمود للأبد...لم أسمع عنه بعدها...وانتهى هذا الفصل من حياتي تماماً كأنه لم يكن أبداً...ورجعت إلى روتيني اليومي , وإلى كتاباتي المملّة..وإلى قرائي التعساء ومشاكلهم..وإلى محاولاتي المستميتة لقتل رئتي التي تقاومني ببسالة منذ سنين طويلة ...

******

- ليلى ...!

نظرت لمصدر الصوت كان صوتاً مألوفاً ولكن الشكل لا أعرف صاحبته

- أيوة أنا ليلى ..

وهي تقبّلني وتحتضنّي بقوة ...

إزيّك يا حبيبتي معرفتنيش ولا إيه ..إخص عليكي .-

نظرت إلى ملامحها جيدا..و ..

- مشيرة ..!!؟

- عرفتيني أخيراً .. وحشتيني يا ليلى والله ...تصدّقي إنك مبتروحيش من بالي...على طول بفتكرك...وبفتكر أيامنا الجميلة ...

جميلة ..! قاتلك الله يا مشيرة....كنت أهرب منكِ ومن ذكرياتي معك..كنت أهرب من نفسي كي لا أتذكر أيامي معك التي اعتبرتها سجلاً أسود في تاريخ حياتي ...

بس قوليلي يا مشيرة....إنتِ اتغيرتي كده ليه...إيه اللي حصل .؟ -

- قصدك الطرحة ؟ آه مأنا اتجوزت بعد ما سبتينا...بفترة..رجل أعمال..وعضو مجلس شعب...والطرحة دي كانت لزوم إتمام الشكل المطلوب مني بس ..

آه يعني جوزك أجبرك عليها . -

لا خالص...أنا لبستها عشان ...هابقى أقولك بعدين . -

انتبهت إنّها تمسك بيد طفل في السادسة من عمره...لطيف الشكل ولكن ملامح وجهه تدل على الضجر والملل .

أهلاً معرفتنيش ...ابنك يا مشيرة ؟-

- آه آخر العنقود .. عصام .

أهلاً إزيّك عصام .-

نظر لي.. بلا مبالاة..لم يكلّف نفسه عناء الرد...وأشاح بوجهه بعيداً ...ينظر إلى الفراغ...من الواضح أنّه غير مهتم بالحديث معي... ولا يرغب في معرفتي ...حسناً إذن...يجب أن أرحل قبل أن تتشابك علاقتي بمشيرة مرة أخرى وتطلب مني لقاءً آخراً أو وسيلة للإتصال بي, هيا اهربي حالاً يا ليلى بدون أن تتركي بصماتك في مكان الجريمة .

- انبسطت إنّي شفتك يا مشيرة...بس لازم أمشي عندي ميعاد شغل حالاً .

- هاتي نمرتك..المرة دي مش هاسيبك تختفي زي كل مرة...لازم نتقابل تاني وتالت...أنا بحبك يا ليلى أوي طول عمري وإنتِ كنتِ صاحبتي الوحيدة في الدنيا دي...متعرفيش أنا من غيرك ضايعة إزاي..

يا مشيرة... انتِ ضائعة... بي..أو بدوني...عبارة كانت على لساني .ولكن...منعني حيائي..أن أتفوه بها .

يلا هاتي نمرتك لا استنى..هاتي موبايلك أنا هارن لنفسي منه..مش ضامناكِ . -

وقد كان...انسحبت بسرعة غير عادية...أو بالأحرى كنت أهرب من مشيرة...الكائنة اللزجة والتي أحياناً كثيرة ما أتمنى أن تختفي من العالم كله...وأحياناً أخرى...أظن أنني أكن لها بعض المشاعر الجميلة بعض الشيء...لا أعلم حقيقة مشاعري ناحية هذه المخلوقة العجيبة..فأنا أعلم أنّها تحبني..ولكنها تحبني...كي تأخذني معها إلى القاع...إلى حيث اللا عقل واللا منطق...واللا أخلاق ..

وكما تنبأت لم يمض يومان حتى اتصلت بي مشيرة....

- ليلى وحشتيني إزيّك .

- إزيّك إنتِ يا مشيرة...

- إيه رأيك أجيلك او نتقابل في أي مكان برة الصبح أنا فاضية على طول .

بعد تردد قصير....أعلم انّها لن تتركني إلا وقد قضت مني وطرها... وأعلم أنني سوف أقاطعها مجدداً...وككل مرة أكون وحيدة وضائعة نفسياً .. أحتاج أن ينتشلني أحد ما من وحدتي القاتلة.....رفقة أو ونس..بعيداً عن عملي ومشاكل قرائي....

- طيب أخلّص بس بعض أشغالي وأكلمك نحدد ميعاد.

- هستنى منك بكرة تليفون...ماتتأخريش عليّ ..واحشاني وعندي كلام كتير محتاجة منك تسمعيه..عايزين نرغي زي زمان يا لولو ..وحشتيني بجد .

- حاضر..هاكلمك أول ما أفضى ونحدد ميعاد نتقابل يا مشيرة .

اتصلت بمشيرة بعد يومين من الضجر والفراغ والصمت...

- أيوة يا مشيرة...إيه رأيك نخرج نتقابل في الكافيه اللي في التجمع الخامس..أظن إنك ساكنة جنبه؟ .

- آه أنا في التجمع فعلاً وهو قريب من بيتي..أنا نص ساعة وأبقى عندك .

- خلاص أنا هالبس وأنزل .

وصلت للكافيه بعد نصف ساعة....كان هادئاً إلا من بعض الحبيّبة المحتلين زوايا المكان في هدوء وحميمية... مشيرة كانت سبقتني... جلسنا نتحادث ونتذكر الماضي اللعين.

- تعرفي يا ليلى..لما بعدتِ...أنا حسيت بوحدة فظيعة..وضياع .

وكأنّها لم تكن ضائعة من قبل أن أعرفها .. حتى حروفها كانت كذباً...وتظاهراً بالعفّة...

- أنا يا ليلى عايزة أعترف لك بسر...بس ارجوكِ متزعليش مني... إنتِ عارفة إني قدامك ببقى عريانة من كل حاجة...وبتكلم معاكِ من قلبي..

بالتأكيد مشيرة تعشق هذا النمط من الكلام...والادّعاء بالضعف والحب .

- قولي يا مشيرة مفيش حاجة هاتصدمني فيكِ .

- إنتِ لسه مدبّ كده يا ليلى ...ماتغيرتيش أبداً....ولا السنين غيرتك شكلاً ولا مضموناً...بس يمكن ده اللي بيخليني أحبك أكتر... إنتِ كتاب مفتوح..وبعتبرك مرايتي اللي بتوريني حقيقتي..

بعد ماسبتوا بعض إنتِ وعصام...هو كان حزين..مكسور...

وضعيف...وأنا كنت بتصل بكِ كتير بس إنتِ كنتِ قافلة بابك عني تماماً...معرفتش أوصلك...وحسيت إنك بتشيليني من حياتك زي عصام...أو يمكن بتحاولي تلغي الفترة اللي عرفتيني فيها وكانت فترة ضياع أو بوهيمية...وعذرتك...لأني كنت بدأت أتعب من اللي أنا بعمله في نفسي...زهقت من التسالي...والناس اللي عايزة تقضّي وقت ..يوم..يومين وخلاص..

وقتها كنت مكسورة لبعدك...حصل اللي حصل بقى..

- مش فاهمة حصل إيه يا مشيرة..وضّحي أكتر وخلّي كلامك مباشر إنتِ عارفة إنّي بحب الوضوح .

- طبعاً عارفة..هأقولك...أنا وعصام دخلنا في علاقة...كانت فيها طبطبة أكتر من أي حاجة تانية..اتقربنا ..أكتر..وكنت محتاجة له.. وهو كان محتاج لي...قضينا مع بعض وقت طويل, وفعلاً بدأ ينتبه لدراسته...وأنا كمان..وحبيته....وهوبيقول انه حبني..ولو إنّه دايماً كان بيجيب في سيرتك ...عمره ما نساكِ..وده كان سبب إنّي سبته... حسيت انه واخدني مهدىء...أو علاج عشان يفضل في سيرتك ...وكأنك مسبتهوش..

يا ليلى..كان في عزّ أوقاتنا الحميمة مع بعض...بينادِيني بإسمك...

وكنت بموت لما بيحصل ده...كنت بكرهك...مش بكرهك بمعنى الكلمة...الحقيقة كرهت نفسي...وكرهت علاقتي بعصام...تعرفي إنّي لسة بحبه لحد دلوقتي...وسميت ابني على إسمه..لأني مقدرتش أنساه أبداً...

كنت أسمع مشيرة ....بأذني ..بعقلي..وليس بمشاعري...كأنّها قارئة من قرائي تقول مشكلة تخصها..وجنبت عاطفتي تماماً ...حتى لا أكرهها أكثر...حتى لا أقسو عليها او أنهي مقابلتنا بشيء من الغباء...

- وبعدين...حصل إيه .؟

- أبداً..خلصت كليتي ...واتقدمت لوظيفة عن طريق صديق بابا...في شركة كبيرة...وبدأت أهتم بنفسي وبطلت أعرف حدّ معرفة طياري...كنت عايزه أبني مشيرة...أبني نفسي بشكل جديد...وراهنت نفسي إنّي هانجح وأتفوق على نفسي...حبيت أظهر قدراتي اللي كنت بدفنها تحت أكوام من اللهو والضياع....

شريف...كان صاحب الشركة ورئيس مجلس إدارتها...كان متابعني..وبيشجعني..كنت مديرة مكتبه...وبدأ يلمّح لإعجابه بي... أنا كنت مقررة إني مش هادخل أي علاقات محرمة...ولا عايزة أضيع نفسي تاني بعد ما لقيتني ..كنت بتعامل معاه على إنّه صأحب الشغل فقط..بإحترافية ...بدون ما يكون للأنثى دور في علاقتنا العملية...

فضل ورايا..يحاول يغريني...بالهدايا القيّمة...بالترقيات وزيادة الراتب...وأنا ثابتة..أبداً ماتهزتش...وف الآخر قرر أنّه يتقدم لي...

بيني وبينك...أنا محبتوش...أنا حبيت فكرة إنّي أتجوز جوازة محترمة , راجل مقتدر ناجح في عمله ..وداخل بالحلال ..فوافقت.. وفعلاً اتجوزنا ...وعشت معاه أول سبع سنين راضية...برغم انه كان مش مقصر معايا أبداً مادياً...كان مغرقني هدايا...وبنسافر على طول...وكل اللي بحتاجه....كان بيجيلي قبل ما أطلبه...

الحقيقة مقدرش أقول عليه إنّه وحش...بس أنا ...أنا يا ليلي.. مكنتش سعيدة...كنت حاسة بفراغ عاطفي...إحساس الأنثى عندي بدأ ينتبه...وبدأت أبص حواليّ...ناقصني إيه..؟

ناقصني إحساس...راجل يعرف يتعامل مع أنوثتي...شريف كان صحيح رجل شرقي...بس مش بتاع لف وستات...ولا علاقات...كانت حياته كلها لشغله وبيته وأولاده..فقط...

مخبيش عليكِ..كان عنده قصور وضعف جنسي..وعشان كده كان بيعوضني مادياً...مبيعرفش يتعامل مع أنثى...مبيعرفش يمدح أو يقول كلام غزل..

كان بيحبني بطريقته وبس...كأني حاجة غالية بيحافظ عليها من الخدش أو الكسر...بس هي تمثال...في حياته..مش أكتر ولا أقل...

- ياه يا مشيرة...يعني إنتِ اتجوزتِ وخلفتِ وعشتِ مع راجل مش بتحبيه ...طيب ليه كل ده..ليه مطلبتيش الطلاق..او ليه اتجوزتيه أصلاً بدون حب .

- كان لازم أتجوز...إنتِ عارفه المجتمع...ونظرة الناس...وأنا قبل شريف جرّبت الحب...وجرّبت الرجالة..وشفت إنّه معظم اللي مروا عليّ كانوا شايفيني حته لحمة طرية....شهية...ياكلوها...وتتهضم... وينسوها الصبح...بس مش أكتر...

اما شريف...حسسني إنّي إنسانة أستحق إنّي أعيش حياة كريمة.. بس....

- كملي يا مشيرة سامعاكِ بانتباه .

- فضلت عايشة كده لحدّ ما قابلت عصام تاني...بالصدفة..كنت مع جوزي..وكان هو لوحده في عشاء عمل..كان قاعد شارد..بيشرب... ومش شايف حدّ قدامه..

- هو لسه ضايع كده يا مشيرة ...ماتغيرش أبداً .

- لا عصام بقى حاجة تانية...عنده محلات مجوهرات ودهب ومعروف في السوق كويس أوي...بس هو اتجوز وطلّق أكتر من خمس مرات...خلّف من كام واحدة...ومخلّفش من الباقي... بيطلق ما بيكملش...

المهم ليلتها...عرّفته على جوزي وبقى صديق جوزي كمان...ومن ساعتها....

أنا اتغيرت...بقيت مش أنا ...بدأت مشيرة القديمة تنط لي كل شوية.. بتشدني للماضي بقوة.....

قطع حديثنا هاتفها المحمول....برنينه الذي لا يتوقف...

- أيوه يا شريف..أنا مع قريبتي ليلى...آه خلاص أخلص وأروّح حاضر....

- سألتيني ليه لبست الطرحة...عشان شريف من فترة بدأ يشّك فيّ...وبقى بيراقبني...وأنا اضطريت أقوله إنّي بحضر دروس دين... وتحفيظ قرآن...ولبست الطرحة عشان أريّحه من الشك..ويريحني من التحقيق كل شوية والخناق..

إذن...هذه هي مشيرة حقاً...لا فائدة ترجى منها..المبدأ الأزلي عندها الغاية تحقق الوسيلة...لبست الحجاب كي تبعد عنها شك الزوج...أو المجتمع...وليس لأنها أرادت التقرب إلى الله بنافلة أو عبادة حقيقية...أكثر ما يثير استغرابي بمشيرة...إنّها تثق بي ثقة عمياء... تفتح لي قلبها تماماً...بدون أن يهمها أي أمر ...حتى لا يهمها أن

كانت فكرتي عنها سلبية تماماً...هي تحبني بلا شك...ولكنها شخصية غير سويّة...وأنا لا اعتراض لي على تصرفاتها فهي امرأة راشدة..حرة... ولكني أعترض على وجودها في حياتي مرة أخرى..وجرّي معها لمستنقع الخيانة هذه المرة...بحجة أنني الوحيدة التي تأمن لها...وتعلم أنّي لن أخونها او أفشي سرها...

واصلت مشيرة حديثها وأنا لاهية عنها...أفكر بطريقة للخروج من هذا المأزق ...حتى فاجأتني بأنّها تقيم غداً حفلة عيد ميلادها... في فندق الفورسيزون...وتطلب بل ترجوني الحضور.....فوافقت ببساطة أدهشتني شخصياً !!!

- مين اللي جاي يا مشيرة..إنتِ عارفه اني مش..

- ماتكمليش...عصام مش جاي ..اتطمني هو مسافر..

لم أتم جملتي وهي فهمت ما أرمي اليه...هذه هي مشيرة... ذكاؤها يسبق توقعاتي دائماً....

غريبة أنا ...!! فمنذ خمس دقائق فقط كنت أفكر بخطة آمنة للهروب...والآن أوافق على الانغماس أكثر فأكثر في حياة مشيرة... وحضور مناسبة عائلية...لماذا هذا التخبط يا ليلى...هل تنتوين الرجوع للماضي...أم...ماذا...؟؟ لأول مرة...لا أصارح نفسي بحقيقة الأمر...كل ما همني...هو كيف سأبدو غداً في الحفلة..ماذا سألبس... ومن سأقابل...!!!

تزيّنت كما لم أتزين سابقاً...لبست رداء خمري اللون كنت أحضرته

من باريس السنة الماضية...ولكنّي لم أضعه على جسدي أبداً...حاله كحال كثير من قطع الملابس التي في الدولاب... جديدة كعذراء لم يلمسها بشر....بانتظار المناسبة السعيدة التي أرضى بانتهاك عذريتها فيها .....

عندما وصلت الاحتفال..كانت مشيرة وزوجها متواجدين... عرّفتني على شريف...شخصية كئيبة نوعاً ما...لا يبتسم إلا للضرورة.. او لمصلحة ما...كان رجلا في العقد الخامس من عمره...أحمر البشرة... بعيون ملونة...كالثعلب...يدخن سيجاراً كوبياً فاخراً...ويتكلم بصوت عالٍ ...وبكثير من الترفع...ولكنه يرمي ترفعه عندما يرى شخصية مهمّة...حاله كحال معظم رجال الأعمال...عيناه تبحث دائماً عن المنفعة ..وليس للعلاقات الإنسانية ثمن عنده..

رحبت مشيرة بي ترحيباً حاراً كعادتها وأجلستني إلى طاولة كبيرة...كنت بمفردي عندما قامت لتستقبل بقية المدعوين...

توافد المدعوين ..يرتدون أفخر الثياب...كان الاحتفال باهظاً... ماعلمته أنّ شريف كل عام يحتفل بعيد ميلاد مشيرة...يعزم رجال الأعمال وزوجاتهم ويبرم بعض الصفقات..أي أنّه يسترد ليلتها ما أنفقه على مشيرة وأكثر.... لا يهم...لا يعنيني كيف يعيش هؤلاء

القوم...فأنا أريد أن أتواجد الليلة فقط...كي أخرج من شرنقتي..أرتاح قليلاً من صوت رأسي الذي يحادثني يومياً...ولا يفارقني...أريد بشراً أتحدث معهم...حتى وإن كنت لا أطيق تصرفاتهم أحياناً !!!

- ليلى....أحب أعرّفك على طارق...شريك شريف ورجل أعمال.. عايش معظم وقته في إسبانيا...وهو اللي ماسك فرع الشركة هناك...

ومالت على أذني هامسة : « أرمل .....وسيم...أنا عايزاكِ تعيشي يا ليلى..اغتنمي الفرصة لأني لاحظت إنّه معجب بكِ من أول ماعينه وقعت عليكِ ...مش هاوصيكِ ...عدي الجمايل يا حبي».

تركتني مع طارق...وذهبت لمدعويها مرة أخرى...

- أهلاً ليلى...شرف لي إنّي أقابلك النهاردة...فرصة سعيدة جداً... أنا متابعك من زمان..ومعجب بآرائك وأسلوبك الرشيق في الكتابة...

تبسمت ابتسامة لطيفة...ومددت يدي إلى طارق الذي أمسكها بكل اهتمام ..طبع قبلة على معصمي بشكل أثارني...فمن عادة الرجال أن يقبّلوا ظهر اليد..ولكن طارق كان مختلفاً جداً..!!!

لم يكن وسيماً بمعنى الكلمة...لكنه كان عنواناً للأناقة والرجولة.... معتدل القامة...بشارب عريض...يدخن السيجار الفاخرأيضا كشريف..ومن الواضح من بدلته السينيه...ودبوسه الماسي..أنّه يهتم جداً بمظهره..ويعرف ماذا يرتدي ....

- أهلاً طارق...سعيدة بمعرفتك.

- ممكن أقعد معاكِ ...أنا لوحدي...مش بحب الدوشة...أنا

إنسان بحب الهدوء...وزي مإنتِ شايفه...الدوشه هنا كتير أوي..
- أكيد اتفضل...تشرفني .

تحادثنا ليلتها كثيراً...حدثني عن إسبانيا, وجمال شواطئها...عن النساء عاريات النهود...وعن جمالهنّ العربي الأصيل...عن بيته الذي اشرف على بنائه بنفسه عند سفح الجبل..وعن مملكته وقصة كفاحه وكيف أصبح ثرياً...انبهرت بحديثه اللطيف...وأسلوبه الرفيع في الحوار والتعامل...قمنا نطفىء الشمع...ونتمنّى لمشيرة حياة سعيدة مديدة مع شريف...وبعدها طلب مني طلباً غريباً..

- ليلى...أنا زهقت من الدوشة...إيه رأيك نكمل سهرتنا في النايت كلوب تحت..هادىء..ناخد درينك خفيف ونتعشى ونكمل حوارنا...

مع تحفظي على الدرينك الخفيف لأني لاحظت أنّه يشرب الكحول بنهم ....إلا أنني لم أمانع أبداً...بل سعدت بإهتمامه الشديد بي...

نزلنا إلى النايت كلوب...كان مكاناً مظلماً بعض الشيء تتوزع اضواؤه ذات اللون الأزرق التركوازي في الأركان... مكاناً مثالياً للحبيَبّة أو..السكارى...

تبادلنا أطراف الحديث مرة أخر بكثير من الهدوء وبصوت

منخفض...أقرب للهمس...سألني عن حياتي...كنت متحفظة بعض الشيء...لم ألمّح للماضي...وكل ما ذكرته عملي...وحياتي الهادئة... وقطتي البيضاء ...رفيقتي المثالية...

طلب مراقصتي...فلم أمانع...وعندما احتضنني...أحسست بسخونة جسده...كانت رائحته مميزة جداً..ولكنه كان محترفاً...لم يحاول أبداً ان يلغي الحدود بين جسدينا...كان رجلاً يعرف كيف يتعامل مع المرأة..وكان هذا كافياً كي أتقبل وجودي معه بهذا الشكل...

يومها أصَّر على إيصالي لمنزلي... تركت عربيتي يأخذها إلى منزلي سائقه الخاص... وعندما وصلنا قبّل يدي بنفس الأسلوب الذي اتّبعه معي أول الليل...لعله متمرس في ذلك.

تمنّى لي ليلة سعيدة...وأثنى على الوقت الذي قضيناه معاً... وطلب مني رقم هاتفي كي يطمئن عليّ في اليوم التالي..

لأول مرة...أنام نوماً عميقاً...منذ سنين طوال...لم تراودني كوابيس أحمد...ولا كوابيس عصام..لم أر غيماتي العزيزات ككل ليلة يتضاحكن ويتغامزن ويفترشن سقف غرفتي...كعادتهن...ولأول مرة منذ سنين.. أنام قريرة العين...!!

فتحت عينّي على صوت رسالة على هاتفي....كانت رسالة من

طارق...صباح الخير...أتمنى أن تكوني قضيتِ ليلة هانئة بعد سهرة الأمس الجميلة...وحشتيني!

صباح الخير طارق..نعم نمت نوماً هنيئاً...والفضل يعود لصحبتك الجميلة بالأمس..

رن جرس الهاتف...

- صباح الخير المرة دي بالصوت ...حبيت تكوني أول حد أسمع صوته ..

- صباح الورد طارق...ميرسي على سهرة الأمس...

- لا وهتشكريني كمان على سهرة النهاردة.

- هو فيه سهرة النهاردة .؟

- آه...وغداء..وإفطار كمان ..إيه رأيك....أنا هاعدي عليكِ نروح نفطر سوا في النادي .

- مممممم أنا أصلي لسه صاحية...وعادة مش بفطر .

- لا... هاتغيري عادتك دي...نص ساعة وأبقى تحت البيت... هارنلك .

أغلق المكالمة ولم ينتظر مني حرفاً آخر....لم أستطع الرفض...أو القبول..

لبست بلوزة بيضاء بخطوط زرقاء...وربطت شعري ذيل حصان... ووضعت أحمر شفاه خفيفاً...وعطراً بلون اللافندر...

عندما رآني.....قبّلني على وجنتي قبلة خفيفة...كانت رائحته

طيبة..رائحة الليمون المنعش لا أحب الروائح الرجالية الثقيلة...التي يضعها البعض كي يلفتوا نظر النساء..وهي في الواقع منفّرة.....فتح لي باب السيارة ...وأغلقه بعد جلوسي ...

كان يتحدث حديثاً لطيفاً ..عن حبه للإستيقاظ مبكراً....وكيف يحب قضاء صباحه في النادي...يفطر ويقرأ الجريدة...ويبحث عن مقالاتي ...

كنت أختلس النظر له...بين الحين والآخر....رجل مهندم...يلبس حسب المناسبة....لفت نظري إنّه رشيق الحركة صباحاً...عكسي أنا تماماً....

- أحسست بأنني لأول مرة أحب أن أكون منقادة لرجل...لا أرغب فى اتخاذ القرارات هذه المرة...سلمت له زمام امري ولجأت إلى أنوثتي أستلهم منها التصرف...

قضينا الوقت نتحادث في شئون الحياة...عن الموسيقى..وماذا يحب في المرأة عموماً..أسهب في الحديث عن زوجته التي توفيت مؤخراً ..كانت إسبانية عاشت معه راضية بحالته المادية المتواضعه قبل أن يصبح ثرياً...كانت تحبه ...وكان يعشقها..لم ينجب منها... وبرغم أنّها كانت عاقر ... حبه لها أنساه رغبته في تكوين أسرة وأطفال

.....حتى بعد وفاتها لم يرغب في أن يتزوج من امرأة أخرى غيرها...

كان يوماً رائعاً...لم أملّ من صحبته أبداً..وهو كذلك....الكيمياء التي حدثت بيننا كانت مدهشة....عند انتهاء السهرة...أوصلني وطبع على خدي قبلة لطيفة...وقبلة أخرى...ثم قبلات أخرى اعتصر بها شفتي المرتعشة..... لم أرفض...أوحتى أوافق .

تعال بجانبي....اعلمك كيف للفريسة ان تكون صيادا...تعال افتح لك عالما من الدهشة...والمستحيلات...الفريسة تهرب من صيادها... وانا كنت فريسة الى ان رأيتك...فقررت اصطياد صيادي...اعدو باتجاهك اركب حد نصل انوثتي..واغرزه في قلبك الى العمق..الى حد الالم المثير...فلا تستطيع مني فكاكا...او حراكا...حتى التهمك...والتهم رجولتك..واتركك بلا قلب...!!

بعدها أصبحت صحبة طارق هي روتيني اليومي...قضينا شهراً معاً كان من أجمل أيام حياتي....سافرنا معا...وقضينا ايامنا بلياليها نتحادث ..نتسامر...نغرق في عشق أوصلنا لمراحل متقدمّة من الانسجام العاطفي والجسدي..كان متمرساً في فنون العشق...كعازف ماهر...يحرك أنامله على معشوقته الموسيقية فيخرج منها أحلى النغمات....يشعل أنينها تارة...ويهدأ أوتارها تارة أخرى.....يعلم جيداً مايثير المرأة...وما لا يثيرها....أصبحنا كجسد واحد....لا ينفصل!!

كعادته كل ليلة يحتضنني وأنا ممددة بجانبه...مسترخية بعد قضاء سهرة عاصفة.....مرمية الأطراف هنا وهناك...أشعل سيجارة...

ونفخ دخانها في وجهي المتورد....

- ليلى...عايز أطلب منك حاجة .

قام وفتح درجاً بجانبه, وأخرج منه علبة قطيفة كحلية اللون ...

- افتحيها من فضلك....

قمت متكاسلة...ألف الروب على جسدي المرهق...وألملم شعري الغجري المجنون.

يا إلهي...هل سيطلب منّي الزواج...هل هذا وقته ؟؟

كان ذهني مشتتاً...وعقلي غائبا..وإدراكي تحت الصفر.

فتحت العلبة...لأرى خاتماً ماسياً..ذو فص كبير جداً...

- طارق...أنا ...

- أنا قررت إننا لازم نتجوز...أنا بحبك يا ليلى...ومش هاقدر أعيش وأكمل حياتي من غيرك .

يا إلهي...طارق قرر الزواج مني..رغم أنّ علاقتنا لا ينقصها هذا الشرط...فأنا بعد علاقتي بأحمد...لم أعد أهتم إن كان من أحبه يتزوجني ...ولا أحاول حتى دفعه لهذا القرار...بل أصبح عندي عقدة شمطاء من فكرة الزواج....

- طارق أنا ....

- من غير ماتكملي....أنا قررت...وهارتب كل الإجراءات... والترتيبات...وعلى الأسبوع الجاي هاكون خلصت الحجوزات ...عشان نسافر إسبانيا نعيش في بيتنا هناك.

- فجأة كدة...وبالسرعة دي يا طارق...متنساش إننا متكلمناش في الموضوع ده قبل كده ولا حتى لمحنا له..يعني إديني فرصه أفكر... فرصة أرتب نفسي...أقرر حتى .

- قصدك إيه...؟ فاجأتك؟ مش فاهمك.. يعني إيه؟؟ مش بتحبيني زي مابحبك...علاقتنا كانت تسلية بالنسبة لك؟.

أقلقني غضبه المفاجىء .. ولكنني قررت أن أستوعب غضبته ...وأن يكون ردي ليناً..

- لا يا حبيبي..أنت عارف إنّي بحبك...وإنّي بتمنّى أقضي حياتي معاك...بس الموضوع محتاج أرتب شغلي...وحياتي...عشان أقدر أسافر...مش أكتر .

- حبيبتي خدي كل وقتك... أنا هاسيبك تخلصي أمورك..وأنا أظبط كل الإجراءات..ماتقلقيش وإنتِ معايا أبداً...كل اللي عايزاني أساعدك بيه...أنا هابقى معاكِ فيه...إحنا بنتجوز عشان إنتِ تبقي معايا...وأنا أبقى راجلك..أنا عمري مابصيت لعلاقتي بكِ على أنّها قضاء وقت...أنا بعد ما عاشرتك...اتأكدت من إحساسي ناحيتك... ومش عايز أسيبك...او أخسرك أبداً .

- وأنا كمان يا طارق....حبيتك...,عمري ما أخدت علاقتي بك..على أنّها تسالي أبداً...وإلا مكنتش استجبت لك...ولا كملت معاك .

احتضن جسدي .. واعتصرني بذراعيه بقوة الرغبة.....وأحرقني بناره الشهية....وأكملنا حديث أول الليلة مرة أخرى...بل مرات أخرى...لم تكن اجسادنا تمارس حباً.. بل كان الحب ما يمارسنا ..... وشتان مابينهما !!!

مرّ الأسبوع على عجل...لم أعرف من أين أبدأ..ولا كيف أنهي ما بدأته...بدأت أرتب أوراقي المبعثرة.....أخذت نصف إجازة مفتوحة من الجريدة ووعدتهم بإرسال المقالات في وقتها..واستمراري في الكتابة ولكن بمعدل أقل ... ورتبت ملابسي التي سوف آخذها معي... لكن ظلّت عندي مشكلة كبيرة...استخراج أوراق قطتي لآخذها معي إسبانيا....كانت إجراءات معقدة بعض الشيء..ولكنّ طارق بعلاقاته أنهى كل الترتيبات بسرعة قياسية.....

تزوجنا أنا وطارق بسرعة عجيبة...وأقمنا احتفالاً هادئاً في مطعم روسيني اقتصر المدعوين على بعض الأصدقاء المقربين فقط....منهم مشيرة وشريف بالطبع...التي كانت فرحة جداً بزواجي وسفري..ولا

أدرى لماذا توجست خيفة من فرحها بزواجي من طارق....لا أعلم لما انتابني القلق...ولكني لم أتوقف طويلاً عند إحساسي الغريب هذا... فكل ما كان يشغل بالي حياتي الجديدة مع طارق .

قضينا شهر العسل في المالديف...شهراً كاملاً من العسل اللذيذ.. طارق كان زوجاً لطيفاً...حنوناً...عوّضني كثيراً عن أيام حرماني ووحدتي...حمدت الله إنّه وضعه في طريقي كي أقضي بقية حياتي معه .

رجعنا بيتنا بعد شهر العسل منهكين من التعب....لم يكن بيتاً بالمعنى الحقيقي...كان قصراً مترامي الأطراف...يقع على سفح جبل أخضر...وموج البحر اللازوردي ينام على جنباته....

كان القصر يحتوي على عدد كبير من الصالونات ذات الطابع الشرقي القديم...وكثير من الأجنحة المؤثثة والمجهزة بالكامل لاستقبال أي عدد من الضيوف في أي وقت...كان المكان يكتظ بالتحف واللوحات والمشغولات ذات الطابع الأندلسي القديم.....كان متحفاً بحق

أما جناح النوم الرئيسي فكان واسعاً جداً يمتاز بشرفاته الكبيرة التي تطّل جميعها على البحر...أثاثه من خشب الزان العتيق...ذو للون البني المميز....والستائر كانت بيضاء ناصعة...تذكّرني بأفلام السينما الكلاسيكية في الثلاثينيات.

شعرت بالراحة وكأنني أميرة من أميرات الأندلس ....كنت أعيش

الحلم ..!

بعد فترة قصيرة من الوقت ....اعتدت روتين الحياة الجديد... طارق يدير معظم أعماله المكتبيه من خلال مكتبه في القصر... يقابل العملاء والضيوف...وكان أحياناً كثيرة ما يأتيني متلهفا لقبلة حارة...أو مداعبة تجعله يشتاق للرجوع مرة ثانية بعدها بقليل كي يأخذ جرعة حنان إضافية....يا إلهي.... كان طفلاً كبيراً ....أحسست معه كأنّي رجعت لطفولتي...اعتدت الدلع...والقبلات...وإجابة كل طلباتي أياً كانت في التو واللحظة...

إنّه الرجل الذي يجعل زوجته دافئة طوال اليوم ....يدفىء جسدها.. بلمساته...ويدفىء قلبها بحبه واهتمامه....كان حبي له مختلفاً عما عهدته من عاطفة في حياتي ....كنت كثيراً ما أناديه بعشيقي وهو يناديني بعشيقته...لم يكن رباط الزواج هو مايربطنا....كان رباطاً وعهداً مقدساً متفرداً...خلق من أجلنا فقط .

- حبيبتي أحب أعرفّك على صديقي المقرب سعادة السفير عاصم....سفيرنا في اسبانيا....

- أهلاً مدام ليلى....يشرفني إنّي أتعرف على حضرتك..طارق حكالي كتير عنك...والحقيقة أنا شايف انّه ظلمك أوي .

- ياخبر يا سعادة السفير ظلمني ؟ أبداً طارق عمره ما يعرف يظلم....ده أكيد حضرتك بتبالغ .

- أبداً يا مدام ليلى....حضرتك أحلى وأشيك بكتير مما سمعت... يبقى ظلمك ولا لا .

- هاهاها ميرسي على الكومبليمو ده سعادة السفير...انت النهاردة شرفتنا ونوّرتنا...أتمنى أن حضرتك تكون مستمتع بالحفلة .

« طبعا مستمتع..كالعادة واكتر...طارق طول عمره كريم وبيعرف يحتفي ويهتم بضيوفه... ودائماً بقوله أنا مش ضيف...أنا صأحب بيت....»

- طبعا يا سعادة السفير...حضرتك قبلنا هنا...مش محتاجة كلام... طارق ياما حكى لي عن حواديتكم وانتم لسة طلبة...وعارفة مقدار معزتكم لبعض....

- طيب حيث كدة...أنا اسمي عاصم بس...وإنتِ اسمك ليلى ولو انه صعب عليا انطقه بدون القاب.....بس بقول إيه...كفإيه مجاملات .

- طيب يبقى حضرتك بعد ما تدوق أكلي ....تحكم...على ذوق طارق ..إن كان عرف يختار ولا لا .

- من قبل ما دوق... عرف يختار يا فندم.

انتهى حفل استقبال عاصم على خير وجه...الذي استمتع جداً بالطعام الشرقي وبالإستقبال وحفاوتي أنا وطارق به....أخبرني طارق

أن عاصم .... أقرب صديق له منذ الطفولة ولا يزال..وهو من طلب منه الحضور لإسبانيا ...والعمل هنا...

- تعرف يا طارق...أنا كنت فاكرة أن شريف هو اقرب أصدقائك..

- لا يا ليلى...شريف بتربطني بيه شراكة عمل فقط....إحنا مش أصدقاء مقربين...أنا وشريف عمرنا ما نبقى أصحاب قريبين.

- بصراحة...إنت حاجة تانية..وبرغم إنّي معرفتش شريف أوي... بس ما ارتحتش له...حسيته غيرك خالص...حياته وتعامله مع مشيرة حسيتها تمثيل...مش زيك بتتعامل من القلب يا حبيبي.

ارتحت لمعرفتي أن طارق وعاصم أصدقاء طفولة...وأحسست بالراحة إنّه سيكون لي معارف من بلدي...في هذا البلد الغريب...ولو أن طارق كان يغنيني عن معرفة كل البشر..

كانت مشيرة كثيراً ما تحادثني هاتفياً....تحكي لي بعض مشاكلها مع شريف...وحكاويها الماجنة مع عصام... كنت كثيراً ما أعتذر لها وأضطر لاختراع سبب ما لإنهاء مكالماتها السخيفة...

عاصم كان نعم الصديق لزوجي..ولي أيضا...كثيراً ما كان يحلّ ضيفاً أسبوعياً في منزلنا ...كان رجل من الزمن الجميل...لطيف

العشرة...هادىء الملامح...لم يكن يعيبه سوى حبه الشديد للوحدة التي كنا نسعى أنا وطارق دائماً وأبداً لإخراجه منها ودفعه للإنغماس معنا في حياتنا بشكل أو بآخر....

- ممكن أدّي نفسي الحق وأسألك إنت ليه ماتجوزتش تاني بعد أول تجربة زواج يا عاصم .

- عشان عاصم مش وسيم زي يا حبيبتي...ولا دمه سكر ...ولا بيعرف يحب أصلاً ...سيبك من اللي هايقوله ..أنا حافظه..هو مش بينفع غير يعيش الخيال... أجاب طارق ممازحاً ....

- بلاش إنت يا طارق...أنا أعرف عنك حكاوي هاتخلي ليلى تبيتك على الكنبة برة...فخليك لطيف مع صاحب عمرك اللي عارف كل حاجة عن تاريخك الأسود يا طروووقة.

- طارق حاكيلي عن كل مغامراته يا عاصم...بس أكيد فيه حاجات مقالهاش...هانبقى نتكلم فيها سوا أنا وإنت .

انفجرنا ثلاثتنا في ضحك مجلجل....بعدها أردف عاصم..مجيباً على سؤالي....

- بصي بجد بقى....إنتِ تقدري تسألي اي سؤال يخطر على بالك.... وإنتِ عارفه إني دائماً برحب بكل أسئلتك وبجاوبك بكل صراحة....

شوفي يا ستي...أنا بعد تجربة طلاقي الأولاني...خصوصاً إنّه كان زواج صالونات...لأن والدي ووالدتي الله يرحمهم .... كانوا بيفضّلوا النوع ده من الزيجات....اكتشفت أنّ الزواج ده مشروع إجتماعي صرف...يعني مثلا...أنا لو مكنتش حابب الست اللي هارتبط بيها... وعايز أقضي كل حياتي معاها...يبقى أتجوزها ليه...ليه أخلف منها... وأجيب للدنيا طفل ملوش ذنب غير إنّي حبيت أكّون أسرة ...

وممكن تكون أسرة غير متحابة...فقط عشان أخلد إسمي في البطاقة...أو يبقى لي وضع إجتماعي معين في المجتمع..فقررت...من وقتها...إنّي مش هاتجوز تاني..إلاّ لو حبيت بجد...إنسانة وحسّيت إنّي مش هاقدر أعيش من غيرها...وانها كل النساء في نظري...وللأسف محصلش الكلام ده تاني...إنتِ عارفة اني بحكم طبيعة عملي....مش كتير بختلط في الأوساط الإجتماعية...ومعظم معارفي بتكون رسمية نوعاً ما...بس ياستي..دي قصتي باختصار.

- معقولة إنّك بتفضل حياة الوحدة على إنّك ترتبط بحد محبتوش... فكرتني بنفسي قبل ماعرف طارق...كنت عايشة كدة...عموماً أنا فاهمة كويس شعورك ده...وإن شاء الله أكيد ربنا هايوفقك باللي تستحق إنك تقضي معاها بقية حياتك وإنتم مبسوطين وسعداء.

مرّت الأيام جميلة..هادئة..رائعة ...كان طارق فيها أكثر من زوج... وصديق...وحبيب...ولكنّي بدأت أقلق على صحته مؤخراً...أصبح لا ينام كثيراً...وعندما يخلد للنوم بعد معاناة....يصحو فجأة وهو

يتصبب عرقاً...وبدأ يعاني من آلام شديدة في كل أنحاء جسده...كنت كثيراً ما ألّح عليه للذهاب إلى طبيب..ولكنّه كان يرفض رفضاً تاماً...

- طارق أنا هاطلب الدكتور ييجي البيت...حالتك الصحية قلقاني عليك....أنا مش هاقدر أشوفك كل يوم بتتعب كده وانت مصمم متروحش لدكتور...

- يا حبيبتي أنا حديد ...متقلقيش عليّ..هازعل منك لو فكرتِ تجيبي دكتور...بجد مش هزار.

كان صوته واهناً جداً...ضعيفا..ولكن حازماً جداً أيضاً.....من الواضح إنّه كان يعاني من آلام حادة يخفيها عني..

إلى أن لمحته مرة يتصبب عرقاً....ويتأوه بصوت متحشرج.... لم أنتظر...اتصلت بعاصم...وطلبت منه إحضار طبيب على وجه السرعة...فليغضب طارق إذن...أنا لن أنتظر الإذن منه ...وأنا أراه يتعذب يومياً أمامي...

أتى عاصم ومعه الطبيب على وجه السرعة...وبرغم نظرة اللوم في عيني طارق...إلاّ أنّه استسلم من شدة آلامه ...لم يعد في إمكانه حتى الغضب ....أجرى الطبيب كشفاً طويلاً....وطلب منه الكثير من تحاليل الدم ....وأعطاه حقنة مهدئة...وتحدث قليلاً مع عاصم حديثاً مقتضباً ورحل...

- عاصم...أنا قلبي مقبوض...ماله طارق ..

بعد صمت قصير...اجاب عاصم...

- الطبيب شاكك في حاجة معينة...والتحاليل هاتبين...»

أنا مقاطعة...

- شاكك في إيه يا عاصم ....من فضلك أنا بتقطع بقالي أسبوع بتعذب , وهو مش راضي يسمح لي أجيب له دكتور..بس خلاص فاض بيّ...ماله طارق يا عاصم .

كان صوتي غاضباً...متألماً....مشحوناً بالقلق.....

- الدكتور شاكك في سرطان الدم...لوكيميا....

فترة صمت طويلة...أعقبها...بكاء مكتوم...حاول عاصم أن يهّون عليّ..وإن كنت أعلم أنّه يحتاج إلى من يهّون عليه أيضا..طارق كان توأم روحه...وعشرة عمره...ولكنه حبيب عمري .....

جاءت التحاليل لتثبت إصابة طارق باللوكيميا اللعينة....وبدأت رحلة العلاج ...أو المعاناة.....رحلة الألم....وصف له الطبيب...جلسات كيميائية...يقتل فيها كريات الدم المصابة بالمرض....كي ينتج جسده كريات أخرى جديدة سليمة...وهكذا...حتى يختفي المرض تماماً من الدم...

كان طارق في كل جلسة...يعود المنزل بعدها...متعباً أكثر من المرة التي سبقتها...حتى أصبح ...جسداً هشاً...كأنّه قطعة زجاج قابلة للكسر.... يعاني كثيراً..ويرفض التذمر أو الشكوى..

كانت مشيرة وشريف يطمئان كثيراً على صحة طارق الذي كان يرفض التحدث معهما...كان لا يحب ان يظهر ضعفه لأحد حتى أنا .....لم يكن من إنسان يشكو له ألمه سوى عاصم...وعاصم فقط... كان يرأف بحالي من ألمه...أو شكواه...حتى في مرضك يا طارق...كنت عزيز النفس....أبّي المشاعر....

حتى حدث ذات ليلة.....

- ليلى...إسمعيني...أنا عارف إني بموت...

كنت أحاول إسكاته...رافضة الحديث ...إلاّ أنّه طلب مني بصوت تعب...أن أكفّ عن مقاطعته

- من فضلك يا ليلى...أنا مش هاقدر أتكلم كتير...اسمعيني وماتقاطعينيش...أنا عمري ما حبيت...حدّ غيرك ..أو قدك...أو زي حبي ليكِ.. الفترة اللي عرفتك فيها...هي كل حياتي....قبلك مكنتش عايش..

سكت قليلاً ليبتلع ريقه الجاف...سقيته بعض قطرات من الماء... قبّل يدي بشفاه باردة مرتعشة...واحتضنني بجسده الهزيل....وطلب

مني النوم بجانبه..وكانت آخر مرّة انام محتضنة جسد طارق... غاب طارق عن الحياة...ولم يغب عن قلبي ..أو حياتي ....

معاناة طارق مع المرض ...كسرتني...كسرت روحي ..أصابتني بشرخ لا يبرأ....لا زلت أذكر آخر ما تلفظ به...قبل أن يدخل في غيبوبة لم يصح منها أبداً مرة أخرى..

تولى عاصم كل الإجراءات...استخراج تصاريح السفر والدفن في مصر...عشت شهراً كاملاً على المنومات...والمهدئات اللعينة...والقهوة والسجائر في لحظات استيقاظي النادرة ...لم أستطع إستقبال المعزّين .... رفضت الإجابة على المكالمات الهاتفية...كان عاصم يتصرّف فيها كأنّه اخ لي بمعنى الكلمة....برغم انكساره...وألمه...إلّا أنّه قبل سفره وبعد عودته لإسبانيا.... لم يتركني لحظة...

بعد شهر من الحزن والصمت والإنكسار....طلب مني عاصم أن أحضر فتح الوصية..التي كان طارق موصياً بها عند محاميه الخاص... وعندما حاولت الإعتذار والتملّص...أصرّ...وطمأنني انه سيكون معي ...لن يتركني وحيدة...فوافقت على مضض...

اكتشفت أن طارق كتب لي كل ما يملك...بطريقة البيع والشراء... وترك لعاصم..بعض اللوحات الثمينة...التي طالما كان عاصم معجباً بها....

انتابتني الوجيعة....وأجهشت بنوبة جديدة من البكاء المتقطع.... وبدأت لأول مرة أهذي بصوت عال....

- الرجل الوحيد...اللي حسيت إنه ظهري وأخويا وأبويا وابني وحبيبي راح...هاعمل إيه باللي سابه , هاعمل إيه بدونك يا طارق...

غرقت في حزني الأسود...شهراً آخر ....كان عاصم هو وسيلة الاتصال الوحيدة بيني وبين الحياة التعيسة...حاول كثيراً أن يخرجني من فترات حزني...وصمتي...ولكنّه فشل ...

بعدها....قررت أن أعود لمصر...فمن كان يربطني بإسبانيا رحل وماتت معه روحي ...دفنتها في هذه البقعة من العالم...وسأعود جثة فقط...بلا روح , وقد كان...

أوكلت بيع القصر لعاصم...الذي كان رافضاً عودتي لمصر...إلاّ أنّه أمام إصراري...وافق على مضض....ووعدني بزيارتي قريباً...بعد أن أهدأ قليلاً وأرتاح.....ووعدني بالتصرف بأمور أخرى كثيرة لم أعلم عنها شيئاً...سوى انه سيضطر للتعامل مع شريف بخصوصها....

أخيراً رجعت إلى بيتي..بعد عام من الفراق.....أنا وخليلتي ذات الذيل الأبيض...وحدنا...بدون شريك ثالث...وبدأت فصلاً جديداً... من فصول حياتي البائسة...

*****

استسلمت لحالة من الغيبوبة أنام ساعات طويلة....ثم أصحو كي أنام مرة أخرى...كانت ستائري مسدلة طيلة الوقت.... لا أكاد أعلم ليلي من نهاري , أهملت مقالاتي وقرّائي فترة طويلة..الوقت لعب دور الشيطان فيها بجدارة ....كان كل ما يربطني بالهاتف مجرد إتصالات عاصم للإطمئنان عليّ...

- ليلى عاملة إيه طمنيني عليكِ... كلمتك كتير كالعادة....ومش بتردي...أنا بقلق عليكِ لما مش بتردي... إنتِ كويسة .

-الحمدلله يا عاصم...الحمدلله.

- أنا متابع الجريدة ومش لاقي لك أية مقالات جديدة...ممكن بقى كفاية كدة حزن...وتبتدي تفوقي وترجعي لحياتك تاني ولـ ليلى اللي عرفتها زمان؟ .

- وأجيبها منين يا عاصم...ليلى اتدفنت مع طارق...راحت خلاص... أنا مش عايزاها تاني...أنا عايشة جوه جسم ليلى...بس روح ليلى ماتت خلاص...

- حرام عليكي يا ليلى...أنا بتعذب وحاسس بوحدة كبيرة...فقدت أعزّ الناس...طارق كان مش مجرد صديق...كان أخويا...ولو قلتلك أبويا صدقيني....ومتعرفيش معزتك إنتِ عندي...مقدرش أفقدكم أنتم الإتنين مع بعض...عشان خاطري...وعشان خاطر طارق ارجعي ورجعي ليلى القديمة....طارق مكانش هيبقى مبسوط بحالتك دي.....

سكت قليلاً...أحسست بغصة يحاول ابتلاعها....وبصوت مبحوح أردف قائلا

- ليلى أنا أرجوكِ ارجعي..ده آخر طلب هاطلبه منك...

أشفقت على عاصم ...أشفقت على صديقي الذي لم يكن له ذنب سوى أنّه اعتبرني أنا وطارق أهله...كثيراً ما تكون الصداقة الحقّة هي الهدف الأسمى لكل العلاقات الإنسانية في الحياة...

- حاضر يا عاصم...أوعدك اني هاحاول...

- وعد؟

- وعد ...

*****

- أخيرا رديتِ يا ليلى..أنا زعلانة منك أوي....بقى شهرين بحالهم معرفش عنك حاجة غير عن طريق عاصم لما كان بيطمني عليكِ... ليه يابنتي كدة...طيب طمنيني عليكِ على الأقل ..وحشتيني يا ليلى.

- ميرسي يا مشيرة...إنتِ عارفة حالتي كانت صعبة أوي...مكنتش قادره أكلم حد...وتقريباً مش عارفة هاطلع من الحالة دي إمتى.

- يا حبيبتي ...معلش ..أنا مش عارفه أقولك إيه...المكتوب ممنوش مفر...عايزه اشوفك....ممكن اعدي عليكي اخدك نقعد ع النيل شوية نتكلم...؟»

- لا يا مشيرة...مش قادرة..

-لا مفيش مش قادرة مش كل مرة هاشيلك من السرير...يلا نص ساعة هابقى تحت البيت ..أرنلك تنزلي...ولا هاطلع اجيبك وإنتِ عارفاني...مش هاغلب .....يلا اجهزي ...باي

اغلقت الهاتف بدون ان تنتظر ردا مني...

أعرف ان مشيرة طالما قررت امرا فهي لن تتراجع عنه أبداً...قمت احاول ان ابحث عما ارتديه...فمعظم الحقائب لم تفتح بعد منذ

ان وصلت من السفر...لازالت باقفالها مرمية في الغرفة الأخرى... والتراب يعتليها....لبست بلوفرا رماديا...وبنطالا اسودا...ووضعت كابيشونا صوفيا ابيض على راسي....ونزلت بعد ان سمعت صوت رنة هاتف مشيرة...

منذ ان ركبت سيارتها إلى ان وصلنا الكافيه وهي مسترسلة في الكلام...بدون توقف...وأنا أسمع ....اهز رأسي تارة...وتارة أخرى... اصدر بعض الهمهمات المتعبة....إلى ان فاجأتني بسؤال لم يخطر على بالي قط....

- ليلى...أنا حاسه ان عاصم معجب بيكي...عمري ماشفته مهتم بحد زي ماهو مهتم بيكي ...

وقع كلام مشيرة على رأسي كالطوبة الثقيلة...يا إلهي...هل يعقل؟

- تصدقي يا مشيرة أنا ندمت اني اصلا رديت عليكي...مفيش فايد فيكي أبداً...ياشيخة أنا مش مصدقاكي أبداً...بطلي سفالة بقى.. أنا هقوم واسيبك

- خلاص خلاص حقك عليا يا ليلى...بصي أنا عارفه انك مش واخدة بالك ...أنا بس حبيت الفت نظرك...مش اكتر ...ماتزعليش بقى...وحشتيني يا بنتي

كالعادة رجعت لحديثها عن مشاكلها مع شريف...ومحنها مع عصام...وطلباتها المادية من الاثنين المبالغ فيها...وهكذا انستني هذه الشيطانه بعض حزني لتدخلني في تساؤل عجيب...هل يعقل ان يكون عاصم مهتما بي بشكل مختلف عما كنت أتخيله.؟

الله يحرقك يا مشيرة...أنا ماكنتش ناقصاكي ع المسا...

بعدها أصبحت لا ارد على مكالمات عاصم او مشيرة....اختفيت تماماً من الساحة الاجتماعية...برغم متعلقات الميراث ومشاكله مع المحامين...اكتشفت ان شريف زوج مشيرة...استولى على بعض الاسهم الخاصة بطارق عن طريق الخداع...وبدأ يحاول الاستيلاء على الاسهم المتبقية...وكلت محاميا باهظ التكاليف...كي اوقف شريف عن توغله في سرقة املاكي ...طلب مني المحامي ان أذهب للشركة...وافتح مكتب طارق ...وممارسة مهامه ....ولكني جبنت تماماً..فكيف اواجه المجتمع وأنا ومكسورة..وهل أستطيع مواجهة شريف وهو يسرق اموالي...ماذا أقول للموظفين...هل افتح حربا...ام انزوي إلى ان يأخذ القضاء حقي.؟

بعد الحاح من المحامي لبيب..قررت الذهاب للشركة...ومواجهة شريف.

في اليوم التالي ذهبت إلى الشركة بسيارة اجرة...اعصابي كانت لا تحتمل القيادة والدخول في زحمة المرور ...والمناوشات الصباحية

التي أنا في غنى عنها الان .....

عندما دخلت الشركة...تجمع الموظفون لتقديم العزاء وأبداء حزنهم على المرحوم طارق ...كنت صلبة الملامح...وتعاملت معهم برسمية...ولكن بأدب شديد...سألت عن مكتب طارق...فبلغني موظف الاستقبال بأنه مغلق...فطلبت منه فتحه..وتجهيزه لي... استغرب طلبي...ولكنه لم يجادل او يحاول مماطلتي أبداً...

بعد برهة..حضر الموظف وبلغني ان المكتب جاهز....دخلت مكتب طارق....كان مكتبا فخما....شديد الاتساع...به حمام خاص.. وشبه مطبخ صغير لعمل المشروبات الساخنة...وثلاجه صغيرة للعصائر.....ومفروش بالكامل من الخشب الزان الماهوجني الغامق اللون الذي كان يعشقه طارق .....تزينه بعض اللوحات ذات الطابع الاسلامي الذي كان يعشقه طارق.....ولكني لم ارى اية ملفات على المكتب....ولا في الادراج...كل ما كان على المكتب صورة لطارق... وبعض اجهزة الهواتف التي لازالت تعمل...اتصلت بموظف الاستقبال كي ابلغه بأني انتظر حضور شريف كي اقابله....

سمعت جلبة في الخارج...فعلمت ان شريف حضر الشركة.... وانتظرت قليلاً قبل ان يرن هاتف المكتب

.

- ليلى...حمدلله ع السلامة....اخيرا نورتينا في الشركة...تحبي

اجيلك المكتب ولا تتفضلي عندي؟

- لا أنا جايالك يا شريف...

حملتني اقدامي المرتعشة إلى مكتب شريف ...كان يدخن سيجارا كعادته..ويقرأ بعض الجرائد...عندما رآني هب واقفا...مبينا مودته الزائفة...

- شريف أنا قررت اني اقوم بأعمال طارق...بس محتاجه الملفات....مش لاقية اي ورق في مكتبه خالص....وأنا مقدرة انكم شلتوها خوفا عليها من الضياع او السرقة....

بالطبع كنت اكذب كي لا أبدأ المواجهة باكرا مع شريف..قليل من اللؤم لن يضر ....

- اه طبعا ...تنوريني يا ليلى...احنا فعلا شلنا الاوراق كلها عشان خفنا عليها من السرقة او انها تضيع...حالا هاطلب من السكرتير انه يجيبلك كل الاوراق الي كانت في مكتب طارق....

- ميرسي يا شريف...طبعا مش عايزة أقولك ان طارق كان بيشكر فيك جدا...وبيقولي انك اكتر من اخ...وانه شاركك لما اتأكد انك مثال للأمانة والاخلاق...

اول مرة في حياتي اكتشف فيها انني اجيد التمثيل...وبجدارة.. برافو ليلى...الاوسكار ينتظرك..استمري...

- طبعا طبعا يا ليلى.....طارق كان اكتر من اخ...قبل ما يكون شريك...بس إيه رايك يا ليلى...بدل ما تتعبي نفسك...بالعمل

ومشاكله ودوشته....انك تبيعي نصيبك...شوفي يساوي كام...وأنا مستعد اشتريه وازيد كمان...

- الحقيقة أنا معرفش نصيبي يساوي كام...أنت عارف ان طارق باعلي كل املاكه...بطريقة البيع والشراء...يعني مش حق الزوجة الشرعي فقط...لان طارق مكانش عنده وريث...معظم اهله توفاهم الله...وكل اقاربه من بعيد جدا...

- اه طبعا عارف ....وإنتِ الخير والبركة...الله يرحمك يا طارق ...

قالها وهو يعصر السيجار المسكين بين اسنانه الصفراء...بصوت كالفحيح....

- طيب إيه عرضك يا شريف....

- نقعد مع المحامين...ونشوف نصيبك إيه...ويساوي كام...وأنا جاهز يا فندم

- طيب خلي الموظف يحضر كل الاوراق الي كانت في مكتب طارق اطلع عليها...واقضي اليوم اراجعها..واطلب من محاميك يتواصل مع لبيب المحامي الخاص بي...وأنا هابلغه موافقتي على التفاوض ...

- تمام يا هانم....أنا ان شاء الله هاجهز كل حاجة لحضرتك... يهمني انك تفضلي مرتاحة.... قالها قائما من كرسيه....كي يفهمني ان المقابلة انتهت...

- أنا رايحة مكتبي...بانتظار الملفات ...ميرسي لذوقك

- شرفيتيني يا هانم

بالطبع معظم اوراق طارق المهمة اختفت...وما ارسله لي شريف الحرامي كانت اوراقا بلا قيمة...أو فائدة....

بعدها أصبحت أذهب للشركة صباح كل يوم...عينت سكرتيرا خاصا....ومديرا لمكتبي.....

وتم ابلاغ جميع الاقسام بارسال نسخ من جميع الرسائل والعقود والمعاملات التي تذهب لشريف ... والتي تتم في الشركة....لم يتوقع شريف اصراري على التواجد والاهتمام بالشركة بهذا القدر...معذور فهو لم يعرف عنادي...ولم يجربه...مع اني كنت اكره الأعمال المكتبية... والروتين...الا انني هذه المرة..لم اكن أريد الفشل...وضياع حقي وحق طارق في الشركة....

كنت جالسة في مكتبي عندما رن الهاتف ....

- الو مدام ليلى

- ايوة مين

- أنا صابر يا مدام ...صابر الساعي الخاص بالمرحوم طارق بيه

- أهلاً عم صابر...أنا سألت عنك قالولي انك مشيت ...

- الحقيقة يا هانم ان شريف بيك طردني من الشركة....وكنت عايز اشوف حضرتك...ضروري ...بس بره الشركة ...عشان عايز أقولك حاجات مهمة ....

- امتى وفين يا عم صابر..إيه رايك تجيلي البيت بعد الظهر الساعة 6 ؟

- حاضر يا هانم...6 بالظبط هابقى عندك

عم صابر كان ساعي مكتب طارق الخصوصي...عينه طارق لانه كان يعلم مقدار امانته...ووفائه له....كان رجلا فقيرا..ولكنه كان مثالا للنزاهة والاخلاق ...عنده 7 من الاولاد والبنات... وجميعهم انهوا تعليمهم العالي بفضل عمل والدهم واجتهاده...كان طارق يهتم بعم صابر بصفة خاصة....وعلمت بالصدفة انه تكفل بكل مصاريف ابنائه الجامعية... وترك له معاشا ثابتا يصرفه كل شهر من البنك....

في السادسة تماماً حضر عم صابر ...رجل نحيل...يلبس قميصا وبنطلونا قماشيا....كحلي اللون...يطلق لحية بسيطة لونها بلون الثلج...

كان يحمل في يده المرتعشة ملفا يحتوي اوراقا كثيرة....قدمه لي قائلا:

- الملف ده يخصك يا هانم....دي صور من كل حاجة عملها شريف بيه من وراكي الايام الي فاتت....وده سبب رفدي من الشركة.. اني كنت مصمم اني احافظ على حقك وحق طارق بيه...الي لحم كتافي من خيره .... والفترة الي فاتت شريف بيه كان بيتصرف بدون

ما يكون لوجود حضرتك اي اهمية...باع اسهم...واشترى اسهم... واتصرف ببعض الممتلكات....وكله بمساعدة المحامي الخاص بتاعه... أنا جبتلك كل التفاصيل...طبعا فيه حاجات أنا مفهمتهاش...بس صورتها احتياطا...ده الورق الي عرفت أخرجه بره الشركة...وفيه ورق تاني..محفوظ في مكتب طارق بيه الله يرحمه

أنا مقاطعة

- بس أنا فتشت المكتب يا عم صابر ملقتش حاجة خالص....

- فيه خزنه سرية يا هانم...أنا بس الي كنت عارف مكان وجودها...هي ورا لوحة من اللوحات...متعلقة الناحية اليمين...

- تقصد عامل خزنه سرية محدش يعرف عنها حاجة ؟

- نعم يا هانم...وطارق بيه..كان مستأمني أنا بس على طريقة فتحها ومعرفة مكانها...الله يرحمه...والله يا هانم بعده الدنيا ملهاش طعم..

- طيب يا عم صابر...أنا مش عارفه بجد أقولك إيه....انت وفرت علي وقت طويل في الاجراءات..أنا هاشوف الورق ده...وهاحاول

اشوف الخزنه الي قلتلي عليها دي..متهيألي اني عرفت هي فين بالظبط...بشكرك من كل قلبي...ياريت كل الناس باخلاقك وامانتك

- ده اقل واجب لحضرتك....طارق بيه...لو كان طلب مني عين من عيوني مكنتش هاتاخر عنه أبداً...وأنا دائماً تحت اوامر حضرتك.. اؤمريني

ترك لي رقم هاتفه ان احتجت له في امر ما...وغادر...وأنا لم انم الليل وأنا اقرأ الملف الذي اعطاني اياه...بالطبع كان هناك تزويرا وتلاعبا بالتوقيعات ...قررت ان أذهب صباحا للشركة بعد ان استدعيت المحامي لبيب واعطيته نسخه من الملف...

في صباح اليوم التالي .... وصلت مكتبي واغلقت الباب خلفي.. تفحصت اللوحات ....فرأيت لوحة شبيهة بلوحة ذات طابع اسلامي من مقتنيات طارق في اسبانيا...نظرت خلفها فلم ار شيئا سوى الحائط... ولكن...كان لون الحائط مختلفا عن البقية...كان لونه غامقا...في حين انه يجب ان يكون افتح قليلاً من المساحات المكشوفة...لان وضعية اللوحة تمنع التراب عنه...نقرت عليه نقرا خفيفا باصابعي..سمعت صوت صدى...فعلمت ان الخزنة خلفه...ذهبت للمكتب...ونظرت اسفل الدرج الثالث..مددت اصبعي وضغطت في مكان معين.. ففتح الحائط خلف اللوحة....كان نفس المكان ونفس التصميم الذي نفذه طارق في خزنته في مكتبه بأسبانيا...وجدت اوراقا كثيرة بداخل

الخزنة...وقصاصات لصور شيكات...شعرت بالعرفان لعم صابر...فهو على قدر بساطته...الا انه خدمني كثيراً ....

...لم اعد أذهب للشركة كثيراً ..حتى ظن شريف اني فقدت الاهتمام في ادارتها ...وتخيل له اني سوف استسلم وابيعه نصيبي بثمن بخس..ولكنه فوجيء بالمحامي لبيب يعرض عليه صور الاوراق التي زورها...والشيكات التي زيفها...فأسقط في يده..وطلب مهلة كي يعوضني عنها لانه خاف من السجن والفضيحة...

بعدها توالت اتصالات مشيرة التي لم ارد عليها أبداً...حتى فوجئت بها على باب منزلي...فاضطررت لاستقبالها...

- بقى يا ليلى بكلمك كل ده ومش بتردي عليا...أنا بجد زعلانه منك...مش كل مره كدة تقاطعيني وأنا الي اجري وراكي

-مشيرة...أنا مش في مود حلو عشان افتح حوارات...إنتِ طبعا عارفه الي عمله شريف...

- اه عرفت...وطبعا عملنا مشكلة كبيرة بسبب الموضوع ده...وأنا

طلبت منه انه يصلح الوضع ويرجع كل حاجة زي ماكانت..هو مش ناقصه فلوس..ده على قلبه اد كدة..طول عمره ميهموش الا الفلوس وبس..على فكرة يا ليلى...أحنا واصلين للطلاق...اه صحيح من الاول أنا مش بحبه...بس موضوعك خلاني اعيد تفكير في حياتي مع شريف... أنا ليه عايشه معاه وأنا مش بحبه...عشان الاولاد...ماهم هايتربوا بيا من غيري...أنا اصلا ناويه اسيبهم لشريف ,..واشوف نفسي بقى ...كفاية..,عشان كده كنت بدور عليكي الايام الي فاتت...مش عشان زي مافهمتي اني عايزه اتوسط بينك وبين شريف

- بصي يا مشيرة...ماتخلطيش الامور ببعضها...إنتِ بنت خالي اه... بس إنتِ عارفه اني مش بيعجبني اسلوب حياتك من زمان...بس طبعا إنتِ حره فيها....طالما الموضوع مايخصنيش...بس مفهمتش... إيه الي خلاكي دلوقتي عايزه تتطلقي بعد السنين دي كلها...إيه الي جد ؟

- مفيش..أنا تعبت...وزهقت...وكمان...

صمتت قليلاً..تبتلع ريقها الجاف...كانت عيناها تبحثان عن شيء مجهول...بريقهما اوحى لي بعصام...لا أدرى لماذا قفز هذا الخاطر لذهني...

-عصام مش كدة ؟

- اه عصام ...أنا مبقتش قادره أكون مع رجلين...حتى لو عصام مش هايتجوزني...أنا مش عايزه ابقى مع حد غيره...بصي يا ليلى..

أنا بحب عصام...ومن زمان...حتى من قبل ما تبقوا مع بعض..هو مكانش شايفني وقتها...كان شايفك إنتِ...زي هادي...فاكرة هادي... برضو كان مش شايفني...بس مش ده موضوعنا دلوقتي...أنا عايزه اتطلق عشان مش عايزه شريف يشارك عصام فيا...

يا لوقاحتها...لا فائدة من الجدل مع مشيرة أبداً..عرفت الان سبب سعادتها بزواجي من طارق..وابتعادي عن الساحة...هي تحبني..ولكنها تحبني بعيدا عن نزواتها...وعندما يتعلق الامر بمزاجها ورجالها...فالامر مختلف...عندها فقط يظهر كرهها لي...وغيرتها مني.. هي الان تريد التفرغ لعصام...حتى لا يبحث عن أخرى ...تكون بلا مشاغل...

- أعملي الي إنتِ عايزاه يا مشيرة...حياتك وإنتِ حرة فيها...بس من فضلك...بلاش تدخليني في حواراتك...أنا مش فايقالك

- خلاص يا ليلى...أنا بس جيت أقولك اني مش بتوسط لشريف ...وأعملي ما بدالك..إنتِ كمان حرة..

منذ هذا اليوم..ابتعدت عني مشيرة تماماً..أخذت جانبا بعيدا في حياتها...ولم تعد تردني أية اخبار منها..مما اراحني في التعامل مع

شريف أكثر...فلم يعد له عندي خاطر ... يعوقني عن أخذ حقي منه بالطريقة التي تناسبني....

حاول شريف ان يساومني على نصيبي من الميراث في الشركة... ولكنه لم يستطع ان يطيل في الامر...وبعد عدة محاولات فاشلة منه....بعت له نصيبي كاملا...بالمبلغ المناسب.....واختفيت تماماً عن الحياة الاجتماعية ....رحلت إلى نفسي مرة أخرى....إلى وحدتي التي اضحت اقصى اماني في الحياة...

رجعت إلى صحياني المبكر...وإلى مقالاتي المعتادة....وفنجان قهوتي الصباحي...ولم يعد هناك من أمور تشد انتباهي كثيراً...كل ما كان يهمني...ان لا يتغير روتيني اليومي...

كانت تردني بعض المكالمات من عاصم...بين الحين والآخر...يطمئن على حالي...ويشجعني على الكتابة مرة أخرى...ويبلغني فيها عما تم بخصوص بيع المنزل في اسبانيا..

*****

- ليلى...إزيّك... أنا راجع القاهرة بكرة....

- هاتقعد اد إيه المرة دي اجازتك يا عاصم

- لا دي مش اجازة...أنا اتنقلت القاهرة مرة أخرى...المرة دي نهائي....بقالي شهر بس مكنتش عايز امشي قبل ما اخلص لك اجراءات نقل ملكية البيت للمالك الجديد....وحولت لك المبلغ كاملا على حسابك البنكي..والحمدلله خلصت كل حاجة....اول ما اوصل القاهرة...هأكلمك....وحشتيني !!!!

- ترجع بالسلامة يا عاصم...القاهرة هاتنور يا صديقي العزيز

- الله يسلمك.....استني مني تلفون بكره

في صباح اليوم التالي....اتصل عاصم...ولكنه هذه المرة كان يتحدث من القاهرة....

- حمدلله على السلامة يا عاصم...انت وصلت امتى

- أنا لسه في العربية يدوبك خلصت اجراءات السفر ,,, وعايز اشوفك .,,,!

- طيب بس الوقت لسه بدري...مش تروح وترتاح شويه وبعد الظهر ممكن نتقابل ...؟

- لا أنا جاي اشوفك ....تحبي نتقابل في الكافية الي جنب بيتك ؟

- مممم...طيب نص ساعة وهابقى هناك...

عاصم كان مختلفا هذه المرة..صوته..واسلوبه لم يكن مطمئنا... كان صوته قلقا.. لهفا يحاول جاهدا اخفاء عواطفه التي احسست

بها من خلال الهاتف...

صوت مشيرة لا يزال يرن في اذني....» واضح انه مهتم بيكي ...اكتر من صديقة....»

تمنيت ان لا يكون كلامها صحيحا...فأنا أحب عاصم...ولكني أحبه كأخ..وصديق عزيز...ولا ارغب في فقدان صداقته...او خسارته كرجل في حياتي...

وصلت المكان مبكرة....لم يكن هناك رواد في المقهى في هذا الوقت المبكر من الصباح...طلبت فنجأنا من القهوة...واشعلت سيجارتي الثالثة لهذا الصباح...ولم يمض خمس دقائق حتى حضر عاصم...كان متعبا...ملامح التعب والاجهاد بادية على ملامحه....

قبلني على وجنتي....واحتضنني ...كعادته عندما يسلم علي...

- وحشتيني يا ليلى....وحشتيني بجد

- حمدلله على السلامة يا عاصم...انت كمان وحشتني ...طمني عليك...رحلتك كانت لطيفة ؟

- اه الحمدلله...كله تمام...طمنيني عليكي إنتِ....شايفك مرتاحة الحمدلله...

- أنا كويسة..رجعت لحياتي قبل لقاء طارق الله يرحمه...نفس

الروتين...نفس الحياة..مع فرق...اني مش قادرة انسى طارق أبداً..هو معايا...في كل نفس..وخطوة...حتى احلامي...كلها معاه...مش قادرة انسى اخر مرة كنا فيها مع بعض...مش عارفه انساه أبداً يا عاصم..

اختنق صوتي ولم استطع ان اخفي دمعتين سقطتا على وجنتي...

- ليلى...من فضلك..كفاية...بلاش تفتكري الماضي..طارق كان اكتر من اخ ليا وأنا اكتر واحد حاسس بيكي...من فضلك كفاية

احسست بألمه...ولا أدرى...هل بسبب فراقه لطارق فقط...أم بسبب عدم نسياني له وذكري له في كل مناسبة مع عاصم....

- خلاص يا عاصم...أنا بس لما بشوفك...بفتكر اكتر طارق...بفتكر ايامنا...وقد إيه كنا سعداء بالحياة القصيرة الي عشناها سوا...كان حلم وخلص..

- ليلى ..أنا رجعت القاهرة...وهاقعد سنتين تقريبا قبل ما اسافر تاني...عايزك تعتبري ان طارق لسه موجود...اي حاجة تحتاجيها.... من فضلك...تكلميني وتطلبيها مني...أنا تحت امرك في اي حاجة... بس بلاش الحزن ده...إنتِ عارفه معزتك عندي...

- ميرسي يا عاصم...أنا عارفه...وانت بالنسبة لي ...اكتر صديق ممكن اعتمد عليه...,وألجأ له...دلوقتي...مليش غيرك «

بعد هذا اليوم...أصبح عاصم يهاتفني يوميا...نتحادث في امور الحياة...ولكنه ظل محافظا على مسافة الصداقة...لم يحاول ان يتخطاها أبداً...واغلب الظن انه احس...بأنني لن أستطيع ان انسى

طارق على الاقل في الوقت الحالي...فآثر الاحتفاظ بي ...كصديقة... وان كنت احسست في احيان كثيرة...انه يريد ان يقترب أكثر...ولكن اسلوبي المتحفظ ...جعله يحافظ على العلاقة كما هي...بدون تغيير...

لا تأتي الدنيا مع قادم ..ولا تذهب مع مغادر...ولا تعطي مع خاسر..ولا تأخذ من زاهد هكذا قررت الزهد في الحياة نفسها..حتى لا تأخذ مني اكثر...وغرقت في وحدتي لوقت لم استطع ان اتبينه... شهر...او شهران...او ستة اشهر طويلة مملة...

إلى ان حدث ما انتشلني من وحدتي كرها...مرضت لوزة..قطتي العزيزة مرضا شديدا...صامت عن المأكل والشراب..وأصابها الوهن.... فقررت الذهاب بها إلى اقرب مشفى بيطري...جلست انتظر دوري في الكشف...كان المشفى البيطري حديثا ....مبني على احدث طراز.. ومؤثث بالكامل اثاثا رائعا...معداته كانت من احدث المعدات التي رأيتها .....بل تضاهي اوروبا في حداثتها ونظافتها...ارتحت لقراري باختيار هذا المشفى ....إلى ان حان دوري في الدخول للطبيب... كانت العيادة هادئة...نظيفة...قابلني الدكتور فؤاد...كان رجلا في الاربعين من عمره..وسامته لا تخطؤها عين أبداً ...اسمر البشرة... نحيل القوام..ذو صوت رخيم...

-أهلاً مدام ليلى...اتفضلي حضرتك...مالها القطة ...

- أهلاً دكتور فؤاد....الحقيقة لوزة بقالها كام يوم مش راضية تاكل...بتشرب مية بس...ولما قلقت عليها جيت لحضرتك تكشف عليها وحضرتك الي تقولي مالها»

اثاره ردي المستفز...فعبس قليلاً...وطلب من الممرض وضع القطة على سرير الكشف كي يعاينها...

- واضح ان عندها اثار جفاف..من قلة الغذاء....مممم... قطتك محتاجة لعملية سريعة...عندها ورم في الكلية الشمال...ولازم نستأصلها حالا..

وقع الخبر علي كالصاعقة...لوزة....رفيقتي...وجميع اهلي....يا إلهي...هل سأفقدها هي ايضا؟

- أنا ...مش ؟

سبقت دموعي كلامي...واصبت بغباء عجيب..لا أعلم ماذا أقول او ارد على الطبيب..

- ماتخافيش يا مدام ليلى...العملية دي مش صعبة...بس محتاجه متابعة...أنا مضطر أقولك اني لازم اجهزها للعملية حالا...مش هانقدر نستنى اكتر من كدة...لو حضرتك موافقة يبقى نبتدي ؟؟

- اه...طيب...موافقة....

دخلت لوزتي غرفة العمليات...ودخلت أنا في هلع وخوف لفقدانها...ظللت ابكي طيلة الوقت...لم تقف دموعي الا عندما طمأنني دكتور فؤاد ان العملية تمت بنجاح ....وانها يجب ان تظل تحت الرعاية في المشفى...لمدة يومان قبل ان تخرج ...

ظللت اتردد طيلة يومان على المشفى صباحا ومساء...كان الدكتور فؤاد هو من يستقبلني دائماً...ويظل معي ويجيب على اسئلتي المزعجة والكثيرة بخصوص حالة لوزة...كان هادئا...لطيفا...واثقا من نفسه.... اعجبني اسلوبه...وارتحت لشخصه بشكل غريب...فكيف لحالتي النفسية المتردية بسبب مرض هرتي ان تهتم برجل في اسوأ اوقاتي؟ هل هذا وقته...لا أعلم ما الذي حدث لي..ولكن...استجبت لمشاعري بدون تردد...ولا مقاومة...حتى رجعت بعزيزتي الى المنزل....

بعدها أصبحت زيارات دكتور فؤاد للمنزل للاطمئنان على لوزة ثابته ومتكررة...كان يحادثني صباحا...يطمئن على القطة...ولا يغلق الهاتف قبل ساعة او ساعتان من الحديث الممتع..نتكلم بشتى المجالات...عن قرائي...عن مرضاه...عن الحب...والحياة بشكل عام... اثار انتباهي بثقافته العالية...رغم مشاغله الكثيرة...كان قارئا نهما لكل انواع الثقافات والفنون...وايضا اكتشفت انه كان يتابع مقالاتي وبريد الجمعة لحل مشاكل القراء..أسرني ثناؤه على رجاحة عقلي في

التعامل مع الازمات التي تطرح علي من قبل القراء...

علمت منه انه متزوج...ويحب زوجته....وبناته الثلاث...وانه يخلص لزوجته تماماً..وان كان لا يراهن الا قليلاً...بسبب ازدحام جدوله اليومي...وانها تحمل عنه هم تربية البنات بشكل كامل وتقوم بتسيير امور المنزل لوحدها...بدون اي تدخل منه...وتبينت من حديثه..انه أصبح يحس انه ببعده عن مسؤولياته ...تحول لمجرد واجهة اجتماعية تكمل الصورة....فقط لا غير...فهي واثقة من نفسها...ولا تعتمد عليه الا في الماديات...وفيما دون ذلك...لا وجود له بشكل اساسي في حياتها وحياة الاولاد....

كان كثيراً ما يعرج علي نتغدى سويا..أو يدعوني للعشاء بالخارج.... نسهر نتحادث...نرقص..ونضحك..نضحك كثيراً..كأننا صديقتان ...او صديقان بلا تحفظ....

كنا نسهر سويا...في مكان هادىء كعادتنا...عندما احسست به يقترب مني ...,ويهمس في اذني...

- ليلى...عايز أقولك حاجة...ارجوكي متفهمنيش غلط..

احسست بالقلق من جملته المفاجئة...بحدوث امر جلل...وان

كنت انتظره من فترة طويلة...ولكن...لا أدرى لم وجلت من مواجهة الموقف....

- اتفضل يا فؤاد....انت عارف اني بفهمك على طول

- ليلى...أنا بجد من اول مره شفتك فيها...وبرغم ان اسلوبك الجاف... أنا اتشديت لك اوي...حسيت اني قدام ست بمعنى الكلمة..جميلة...حساسة....ست ممكن يبقى كتير عليا اني اشوفها في احلامي مش في الحقيقة ....وانك حلم تجسد قدامي فجأة....وعشان كده كنت مهتم اوي بحالة قطتك بشكل خاص...وكنت دائماً بحاول اتقرب منك بالشكل الي يرضيكي...لاني خفت انك ترفضي وجودي بشكل مختلف في حياتك....ليلى أنا ...بجد معجب بيكي ...واتعودت عليكي...ومش عايز اخسرك أبداً...حتى لو كانت مشاعرك مش زي مشاعري...ارجوكي...ماتزعليش مني...أنا مقدرتش اخبي اكتر من كدة إحساسي...

لم تكن صدمة بمعنى الكلمة...كثيراً ما تمنيت ان يصارحني بمشاعره...وهو يحتضني راقصا...او يقبل يدي متعمدا عند ايصالي إلى منزلي...وكثيراً ما شممت رائحة هورموناته الرجولية تصرخ في انوثتي الصامتة....ثائرة ....تطلب اللجوء العاطفي....وكثيراً ما وأدت اندفاعي القاتل كي لا أظهر على وجهي اية اثار للمعركة الدائرة في هورموناتي التي اصبحت تحت تأثيره التام...مقاومتي استنفذت تماماً...وقلوعي انهارت...وجيشي العظيم تراجع متقهقرا أمام هجومه الكثيف..

المتمكن....وكان الانهيار والاستسلام.... حتميا....قويا...ورائعا....!

غرقت مع فؤاد في متعة خالصة...ادمنت رائحة جسده الأسمر العفي...كان يغرقني بعاطفته ورجولته ...وكنت انهمر عليه بأنوثتي وافيض عليه منها بلا انقطاع....صوته فقط كان يدخلني في حالة من الشبق لا تنتهي...حتى اصبحت علاقتنا كالإدمان ..

للحب طقوس وقوانين لا يستطيعها الا من كان عاشقا حتى الثمالة..هي امور لا تُطلب ولا تشترى....طقوس تعتري الوجدان فتنهار كل الدفوع والانظمة والحواس

تستجدي منها القرب...الانس..الصحبة..والصفح للحب طقوس غانية...معربدة ...هائمة...مجنونة...انانية ومتسلطة...كآلهة القدماء من الجاهلين

فإن لم تكن اهلا لها ....عابدا ناسكا في معبدها..فكل ماتفعله ليس حبا...انه مجرد روتين تعيشه حتى تلتقي بالحب....

يوما بعد يوم....ازدادت زيارات فؤاد لي في المنزل...وأصبحت لقاءاتنا الصباحية احلى ما أعيشه ..أنساني نفسي...و.....طارق !!

يا الله كيف يتحول الانسان بين ليلة وضحاها من النقيض للنقيض فبالأمس كنت انوح على فقدان اعز الناس....بل كنت أتمنى الموت كي القاه...واحتضنه...والآن أتمنى الحياة فقط كي أعيش اللحظة مع فؤاد.. الذي ارسله لي القدر لينتشلني من موتي البطيء....

في لحظاتنا الحميمة...كان يدور بيننا احاديث شتى....معظمها كانت عن المتعة الجسدية وعلاقتها بالحب الحقيقي.....لم استطع اقناعه برأيي ان عاطفة الجسد احيانا ماتكون اقوى من عاطفة القلب.... ولم يستطع ان يقنعني بالعاطفة وانها السبب في المتعة الخالصة....

- ليلى....تعرفي اني مكنتش أتمنى اكتر من الي أنا فيه ده....أنا مش بشبع...أو بزهق منك أبداً...إنتِ كانك عاملة لي عمل...بصي مش بعرف ازوق الكلام...أنا بجد لما بنزل واسيبك...ببقى حاسس اني عايز ارجع تاني...لولا التزاماتي في شغلي مكنتش سبتك أبداً...

- وأنا يا فؤاد...بستنى دايما اوقاتي معاك...وبره الاوقات دي... بحس ان حياتي واقفة.. لحد ما تيجي وتكمل تاني الي كنا فيه....أنا بفتقدك اوي في غيابك بحس ان حاجة كبيرة ناقصاني...

- أنا مش عاجبني الحال كده يا ليلى....أنا عمري ما خنت مراتي... علاقتي بيكي مختلفة عن اي علاقه ممكن تبقى بين راجل وست.. وانا اصلا مش بعتبر علاقتي بيكي خيانة لها ابدا...إنتِ بس الي كسرتي القاعدة دي عشان انتي مختلفة ..ومقدرتش اقاومك أبداً...أنا مقصدتش اني انجرف معاكي...ولا أعيش اللحظة..أنا فعلا

محتاجلك...وبحبك...أنا ....عايزك مراتي....

وقع كلامه على قلبي وقعا عنيفا ...قويا...فهاهي عقدة الزواج تعترض طريقي مرة أخرى...وان كنت لم اعد ارغب في الحياة العقيمة.. أريد زوجا استقر معه...سندا...ظهرا...رجلا يأويني إلى صدره كل ليلة...اسكنه...ويسكنني...

- أنا مش عارفه أقولك إيه يا فؤاد...أنا طبعا أتمنى...بس ...انت مش هاتبقى معايا برضو لوحدي...

- مراتي وبناتي

- مش عايزه اظلم حد أنا يا فؤاد...مش عايزه اخد حاجة من حد...ده حقهم وأنا جإيه اخده...صعب اوي الي بتطلبه مني...عمري ما اتمنيت اتحط في الموقف ده أبداً

- بصي يا ليلى....مراتي وبناتي زي ماهم..أنا عشان كنت بحب مراتي..اتحملت كتير جفوتها...وصدها عني...وتكبرها على زوجها... كانت دائماً بتبعدني عنها...باسلوبها..أنا لقيت نفسي معاكي...وهي مش هايختلف عليها الامر كتير...صدقيني إنتِ مش بتاخدي حاجة من حد...وبعدين أنا مش حاجة...أنا فؤاد...حبيبك...وعمري ما هاظلمك أبداً

-ومش هاتظلمها هي كمان؟

- ليه بتقولي كدة....إنتِ يهمك أنا وإنتِ وبس....هي مش موجودة خالص...اعتبريني مش متجوز....وحياتنا هاتبقى أنا وإنتِ وبس... من فضلك ماتدخليش فيها اي طرف تالت...هاتبقى مختلفة...وأنا حبيت حياتي معاكي كدة بالظبط...بدون زيادة او نقصان...

أخذ مني التفكير في الأمر اياما طويلة...قضيتها بعيدة عن فؤاد... حتى لا يكون قراري عاطفيا بسبب وجوده....كيف اتزوج رجلا متزوجا وعنده اطفال صغار...كيف اجور على حق امرأة أخرى ...لم أرغب أبداً في هذا الأمر طيلة حياتي...فأنا اتعاطف تماماً مع كل امرأة لها الحق في ان لا تشاركها امرأة أخرى في زوجها برغم رأي الدين في الأمر..حبي لفؤاد لم يكن كحبي لطارق أبداً...طارق كان التعقل والحكمة والقرار الصحيح...اما فؤاد فكانت عاطفتي نحوه مشوبة بالتهور والانجذاب الجسدي الشديد..لا أعرف كيف اغض العقل عن القرار...ولا أعرف كيف أخذ قرارا متعقلا في هذا الأمر...

حتى قررت ان أخذ رأي عاصم في الأمر...وكنت سبق ولمحت له عن وجود فؤاد في حياتي بشكل ما....ولكنه لم يصر على الدخول في التفاصيل ..لإحساسه بعدم رغبتي بذلك.....وبرغم علمي انه يكّن لي عاطفة ما..الا اني واثقة تماماً في رإيه المحايد الذي لن يتوانى عن قوله لي...حتى وان كان ضد عاطفته...

كان عاصم يهاتفني صباح كل يوم!! للاطمئنان على شئوني...حتى عندما علم بوجود فؤاد في حياتي....لم يغير عادته اليومية أبداً...ظل عاصم الذي عرفته منذ كان صديق زوجي الاقرب لقلبه...شخصية تستحق الاحترام...لانه أبداً لا يقدم نفسه على صديقه...بل يحترم ما تعنيه كلمة الصداقة بين البشر....وحرياتهم في الاختيارات حتى وان كانت غير مقنعة بالنسبة له !!

- صباح الخير ليلى....عامله إيه النهارده....مبارح جيتي على بالي كتير..مش عارف ليه حسيت انك متضايقة...او يمكن فيه حاجة شاغلاكي... ياترى إحساسي ده صحيح !

- صباح النور يا عاصم... مش عارفه احتمال يكون صحيح نسبيا !

- طيب مالك طمنيني

- كنت عايزه اقعد معاك نشرب فنجان قهوة....واخد رأيك بموضوع كدة....

- ممم...طيب يناسبك امتى...أنا تحت امرك

- ممكن لو فاضي النهاردة..نروح نتغدى سوا في اي مكان....

- تمام...الساعه 2 هاتلاقيني تحت بيتك....هأكلمك

في تمام الساعة الثانية ظهرا...كان عاصم يفتح باب العربية كي

اجلس بجانبه...لاول مرة اراه بشكل مختلف عما عرفته...كان يلبس تي شيرتا ازرقا بلون زرقة السماء...وبنطالا ابيضا بلون قلبه...ونظارة زرقاء تعكس اشعة الشمس على وجهه....لاول مرة اراه وسيما بحق !!!

اخترنا مطعما كلاسيكيا في الزمالك....ديكوراته هادئة وتعكس روح الاصالة...اخبرني لاحقا انه كان المكان المفضل له ولطارق !!

أوينا إلى ركن هادىء..صوت فيروز الحالم كان يداعب اذاننا برفق ووداعة....لا انكر ان عاصم كان ولا يزال صاحب ذوق عال في الاختيارات المناسبة لكل حدث...ومعه اترك نفسي كلية...لا اعود أفكر بأي أمر يشغل بالي..بل ارمي له بكل المشاكل ليرجعها لي بحلول منطقية وسهلة التنفيذ ...لدرجة انني اعتبرته مفتاحي السحري للحياة !!!

- ها يا ستي...أدينا قاعدين في مكان هادي...وفيروز مآنسأنا ...مالك بقى !!

نظرته كان يكسوها بعض الفضول..حاول ان يخفيه بطريقته التي بت احفظها جيدا ...وان يضفي بعض اللامبالاة على وجهه...ولكنه فشل في اتقان المهمة هذه المرة تماماً !!

- انت عارف أنا مش بخبي عنك حاجة ..وبعتبرك اعز صديق لي في الدنيا دي....وعلاقتي بيك من ايام طارق ماتغيرتش....والاكيد ...انه بفضلك انت اكتر من فضلي أنا في استمرار العلاقه الجميلة دي

يا عاصم...,..

مقاطعا « ادخلي في الموضوع على طول يا ليلى....ماتعودتش منك على مقدمات وحواشي «

- على طول كدة كابسني !! طيب...فاكر فؤاد الي كنت كلمتك عنه مرة ؟

تغيرت ملامح وجهه..تقلصت عضلات فكه....واضيقت عيناه تماماً....ولكنه تمالك نفسه واجاب ...

- اه فاكره طبعا..ماله بقى

- أبداً....عايزنا نتجوز ..

هنا...فقد رباطة جأشه...وصاح قائلا...

- وإنتِ طبعا وافقتي !

- مالك يا عاصم...طب اهدى شويه وخلي الحوار بدون عصبية... أنا مش فاهمة دلوقتي انت اتعصبت ليه ؟؟؟

حاول ان يخفض نبرة صوته...وان يرجع لقناع اللامبالاة الذي يجيده تماماً...وبصوت منخفض يحمل في نبراته الكثير من الانفعال المكتوم ...قال

- لا أبداً.... بس إنتِ عارفه اني بخاف عليك اوي....ومش عارف

فؤاد ده الي طلع لنا منين عجبك في إيه...

سكت قليلاً عندما لاحظ ان ملامح وجهي حملت استياءا من جملته الاخيرة....

- طبعا الحب اعمى...وأنا عاذرك ...بس برضو...لازم نختار صح عند الارتباط...القلب يهدا ويترك للعقل انه يقرر

- شوف يا عاصم....أنا كل مشكلتي انه متجوز...وأنا ...مش عايزه ادخل على بيت ممكن أكون السبب في اني اهدمه...بس فؤاد راجل محترم وبيحبني بجد...مش بيتسلى...وأنا برضو متعلقه بيه بشكل كبير..مش عارفه ان كان حب ولا بس تعلق.....انت عارفني...عقلي بيغلبني دايما...وبفكر اكتر ما بحب...برغم ان عواطفي قوية...الا ان عقلي هو المتحكم...بس قلت..أخد رأيك لانك عارف أنا اد إيه بثق فيك..وفي حكمك على الامور والبشر...باختصار ياعاصم...انت اكتر انسان استأمنه على اي امر يخصني في الدنيا..فأرجوك....ماتعاتبنيش... خليك في صفي...وانصحني...هون علي قراري ..وساعدني اني اخده... بغض النظر عن اي عوامل تانيه ....

ردي الاخير جعل عاصم يهدأ تماماً...وتنفرج اسارير وجهه ايجابا.... لانه لاحظ اني ضمنيا أرفض الزواج من فؤاد...يا الله كم يحبني...وكم يحاول اخفاء عواطفه نحوي ...وكم تفضحه عيونه !!

- طيب يا ليلى احنا هانتكلم شويه...ونحط سلبيات الزواج من فؤاد...وايجابياته...وبعدها نقرر...إنتِ هاتقدري على إيه...ومش

هاتقدري على إيه....وساعتها إنتِ بنفسك هاتوصلي للاجابة....أنا مجرد عامل مساعد....بس إنتِ الي هاتاخدي القرار ..

ظللنا نتحادث قرابة الساعة...قاطعتنا مكالمة من فؤاد...وعندما علم اني بصحبة عاصم...تغيرت نبرة صوته ..وصمت تماماً.....فطلبت منه ان يعطيني ساعة أخرى...وسوف ارد مكالمته عندما انهي غدائي مع عاصم....

لم اصل لنتيجة مرضية من محادثتي لعاصم أكبر من النتيجة التي وصلت لها وأنا بمفردي...عاصم يحفظني كبطن كفه...يحفظ مشاعري...واحاسيسي...يعلم جيدا ما يسعدني...,وما أرفضه...وما أستطيعه...ولا أستطيعه...

اكاد اقسم انه أكثر انسان...حظفني جيدا...بل أكثر انسان أحبني بصدق....وهو الرجل المعتد بنفسه...العاشق الصامت الذي يكن الحب لإمرأة يعشقها ويشتهيها ولا يستطيع الاقتراب منها....كان عشقا بلا امل ...وأنا كنت أحب صداقته ورجولته...كنا جسدان نائيان كقضبان حديد قطار جبّار ..... ندّان.....لا يلتقيان أبداً ... ولا يفترقان !

بعد انتهاء الغداء مع عاصم...رجعت منزلي والأفكار تعصف

بي... ازدادت حيرتي...لأول مرة لا اصل لقرار مع عاصم في امر مهم ومصيري ....آثر عاصم ان يترك لي حرية القرار...طبعا مع وضع الكثير من العراقيل والمطبات التي كان يقصد بها تركيز الضوء على سلبياتها بشكل مبالغ به تماماً...وان كنت ارى ان له بعض الحق فيما قاله... لان رأيه مطابق لرأيي ...ولكن...عاطفته سلبية عكس عاطفتي الايجابيه....فهو يكره فؤاد.....وأنا يعجبني فؤاد !!

قررت ان أخذ هدنة من علاقتي بفؤاد لأقرر موافقتي ..او رفضي للزواج بشكل نهائي.....فأتصلت به لابلاغه بسفري إلى شرم الشيخ لعدة أيام ...بمفردي...لأقرر بعيدا عن وجوده بالقرب مني...كي لا اتأثر سلبا او ايجابا به...استقبل قراري ببرود...وعدم اهتمام يخفي خلفه غضبا كبيرا...وخيبة امل عظيمة..هذا ما احسسته وما وصلني من ردة فعل فؤاد ....!!

أوصلني عاصم للمطار...وظل يتحدث طوال الطريق عن سعادته بهذا الشرف العظيم....أكثر ما يعيب عاصم في نظري... داء المجاملات...او قد أكون أنا من يعتبرها مجاملات...وهو يراها من جانب آخر ...جانب الاهتمام والحب... نحن الشرقيون نعاني من فرط المجاملات....والبروتوكولات في تعاملتنا اليومية....وهو ما ابغضه كثيراً....ايضا طبيعة عمله كدبلوماسي تفرض عليه مثل هذه التفاصيل...ولكن.....افففف لا أعلم لماذا اشغل رأسي الصغير بهذه الامور حاليا....فأنا أريد الابتعاد عن كل ما يشغل بالي...حاليا...

فؤاد...عاصم...الماضي..والحاضر.... قلبي....واحاسيسي...

وصلت الفندق قرابة الظهر...استلمت بطاقات الاستخدام... وذهبت لوضع حقائبي في الغرفة....قبل ان انطلق للغداء.... كانت غرفتي لطيفة...نظيفة...هادئة...تطل على المحيط الازرق.... الهادىء....كانت كل ما احتاجه حاليا...الحق يقال ان اختيارات عاصم تدهشني بجمالها دائماً....غيرت ملابسي ...لبست فستأنا ازرقا قطنيا....وقبعة من القش الخفيف...وغادرت إلى صالة الطعام.... حيث كان البوفيه عامرا بكل ما لذ وطاب من اللحوم والمعجنات والحلويات....وقفت بانتظار دوري ...تقف ورائي امرأة في العقد السادس من عمرها....لطيفة ومن الواضح من ملامحها انها غير عربية...تحادثنا قليلاً وسألتني عن مكونات بعض الأكلات الشرقية التي شدت حواس تذوقها....إلى ان سمعت صوتا مألوفا ينطلق من خلف السيدة.....

- مش ممكن ....ليلى ؟؟!!!!!

نظرت إلى مصدر الصوت....احسست ان قلبي يقفز من مكانه عندما رأيت اعجب مصادفة قد تحدث لإنسان ما فوق الكرة الأرضية...في هذا الوقت من السنة.....او هذا ما دار في رأسي في

لحظتها...فكيف لهذه الصدفة ان تختارنا أنا وهو في هذا المكان البعيد عن كل الاماكن التي جمعتنا سابقا...لتكون ارضا محيادة للقائي بانسان انقطعت عني اخباره لمدة خمسة عشر عاما كاملة....

لم يكن سوى أحمد ! الرجل الأول في حياتي...كان يبلس تيشرت عاري الذراعين...بلون البحر وسروالا قطنيا قصيرا يبين تناسق عضلات فخذيه وصلابتهما.... لم تفعل به السنين الا ان زادته وسامة على وسامته...سمار بشرته المحبب لقلبي..وبعض العضلات التي نمت في ذراعيه وكتفيه ..مع ازدياد الشعر في صدره وتدرج لون بعضه للون الابيض... يا الهي كم انت وسيم يا احمد...غالبا ستظل وسيما في نظري طول العمر.....

- مش معقول....إزيّك يا أحمد

- إزيّك إنتِ يا ليلى...أنا مش مصدق ....بجد أنا سعيد اني شفتك يا ليلى...أنا مش سعيد...أنا محظوظ كمان

يا الله....هل هذا وقته...أحمد يفاجئني على حين غفلة من الزمان...وفي اخر مكان قد اتوقع رؤيته به....يا للحظ ...

- طمني عليك...وعلى نهى...أخباركم إيه

تقلصت تعبيرات وجهه...من الابتسامة المنفرجة الاسارير إلى عبسة احفظها جيدا....فهو كثيراً ما كان يعتمد هذا الاسلوب كي يقنعني بكلامه في حالة ضعف حجته....

- طيب ناخد الاكل ونروح نقعد على طاولة واحكيلك يا ليلى....

وافقته ...وان كانت المفاجأة جعلت معدتي تتقلص...وشهيتي تغادر ....ولكني آثرت ان لا أظهر ما يعتمل بنفسي...فأحمد ومن المفترض انه أصبح غريبا عني منذ زمن بعيد....رؤيته يجب ان لا تترك كل هذا الأثر بداخلي أبداً...فلم يعد للعواطف بيننا مكان...ولكن الذكريات قاتلها الله..... لازالت تسكنني...فأحمد عندما غادر... ترك أثره..وطعناته..التي لم تفارقني يوما واحدا...كانت كالقرين الذي يعشق صأحبه...ويبغضه في آن واحد....فكلما صفى لي الحال وابتسمت الدنيا لي...قفز قريني ودفع بكل اسلحته في وجهي..وكانت اسلحته الفتاكة هي اجمل ايام حياتي سابقا ... والتي مع الوقت... أصبحت قاتلتي....هكذا كانت ذكريات أحمد المحفورة في حنايا قلبي ....لم تغادرني أبداً...ولم استطب اقامتها يوما... لم تقتلني بشكل كامل..ولم استطع القضاء عليها أبداً.....

اخترنا طاولة منفردة على الشرفة الخارجية...كان منظر البحر يوحي بالرومانسية والشاعرية...والهدوء المثير...

- مش بتاكلي ليه يا ليلى ...الاكل مش عاجبك؟؟؟ اطلبك وجبه الا كارت؟

- لا أبداً...أنا مش جعانه...اكلت حاجة بسيطة الصبح ومش عارفه ليه فجأة حسيت بعدم الرغبة في الطعام...

- اكيد عشان الصدفة الجميلة الي حصلت دلوقتي دي...أنا بجد طاير من السعادة يا ليلى...بجد مش مصدق نفسي

- تمام يا أحمد....وأنا كمان سعيدة...وان كنت أتمنى لو كان الوقت غير الوقت...بس عموما...أنا مؤمنة بالاقدار والتصاريف... اكيد ربنا ليه حكمة في كدة !!! ممكن تكمل أكلك ونتكلم وقت تاني لو حبيت .

- لا...مفيش بعدين...نتتكلم دلوقتي....أنا ماصدقت

بدأ طعامه قبل ان يبدأ حديثه...صوت السكين وهو يقطع قطعة اللحم في طبقه...اثار امتعاضي..تذكرت اليوم الذي قرأت خبر زواجه من نهى...كان قلبي يتقطع..وهو من كان يقطع اجزاءه بالسكين.... مثلما يفعل الان بقطعة اللحم التي يتلذذ في التهامها .... وهي تصرخ من الألم كقلبي وقتها.....هذا التصور كان كافيا كي انفر من أحمد... ومن اللقاء الغير مناسب في هذا المكان الساحر الذي يقصده الأحبة ليمارسوا فيه كل انواع الحب والعشق والاسترخاء... وليس الذكريات المريرة...القاسية...المؤلمة.....

استكمل حديثه بعد ان ابتلع اخر قطعة لحم ...

-...بصي يا ستي ....أنا و نهى....سبنا بعض...من زمان اوي.... مفيش نصيب.. كانت زيجة مترتبة...مكانش فيها عواطف أبداً...

كانت تجربة محكوم عليها بالفشل الذريع...وأنا اضطريت اتجوزها بعد شويه ظروف حصلت لبابا في الشركة...وإنتِ عارفه ان بابا واونكل عزمي والد نهى كانوا شركاء في الشغل....وحصلت بينهم مشاكل معينة...أنا مش عايز اخوض فيها دلوقتي....بس كان لازم اتمم الجوازة عشان بابا ما يتعبش اكتر !

- تمام يا أحمد...أنا مش هاعاتبك...ومش هاتكلم في الماضي...كل واحد فينا عمل الي عايزه...بغض النظر عن التاني كان عايز إيه...مش موضوعنا....

قاطعني بعصبية شديدة قائلا

- لا استنى...لازم تسمعيني عشان أنا كتير كنت بفكر اجيلك... او أكلمك...عشان أقولك اسبابي...بس خفت اني اجرحك اكتر....او تجرحيني...خفت اني اخسر اخر امل...وعشان كده فضلت بتابعك من بعيد....مش بقرب منك....خايف منك وعليكي

-بتقول إيه يا أحمد...انت كنت مثلا مستني تقابلني بالصدفة عشان تقولي الكلام ده...امال لو كنت مقرر تقابلني...كنت قلت إيه...لا مش فاهماك..عموما...أنا هاطلع اوضتي...ارتاح لاني لسه واصلة...ومش حابة اني ابتدي رحلتي بعتاب او نقاشات مش وقتها ..

هربت منه..او من نفسي.....لا أعلم...فكان الفرار هو الحل...لم يكن لقائي بأحمد سوى صدمة لي في هذا التوقيت بالذات...في حين

اقرر الفرار من فؤاد اخر حب في حياتي...اصادف اول حب في حياتي... مصادفات القدر المريبة التي دائماً وأبداً احاول الفرار من غرابتها.

ليلتها رجعت لي كل احلامي القديمة ..فتارة ارى أحمد يأخذني في احضانه الحارة..وتارة اراه يتحول لفؤاد...وطوال الليل كانت المشاهد تتغير...صحوت من احلامي على صوت هاتف غرفتي يرن...رفعت السماعة لأسمع صوت أحمد ...

- صباح الخير ليلى...أنا حبيت أصبح عليكي واعتذرلك عن امبارح.. كنت مندفع يمكن لاني بقالي كتير عايز اشوفك وعايز أكلمك عن الي جوايا ومكنتش عارف إزاي أبداً بس لما لقيتك قدامي معرفتش اقاوم رغبتي بالكلام معاكي...بعتذر وأتمنى انك توافقي اننا نفتح صفحة جديدة مع بعض...كأننا اصحاب قدام....وزي ماتحبي طبعا أنا مش هافرض عليكي حاجة ..

صباح الخير أحمد...معلش أنا مبارح كنت متلخبطة من كلامك ومن المفاجأة بشوفتك...اعذرني انت

- لا بالعكس أنا مقدر جدا الي حصلك ده ..ممكن تسمحيلي اننا نفطر مع بعض سوا..اقابلك في البوفيه كمان ربع ساعة؟

- اوكي ....بس من فضلك بلاش كلام في الي فات...أنا جايه هنا عشان اريح دماغي..وقلبي .

اغلقت الهاتف..ولبست فستأنا ابيضا عاري الكتفين وربطت شعري ذيل حصان...ونزلت إلى اللوبي ...كانت الأفكار تعصف بي.. كيف سأقضي ايامي هنا مع أحمد..هل سأحن لاحضانه كما كنت طوال عمري..وماذا عن فؤاد...كيف يختفي بلمح البصر هكذا مع اول ظهور لأحمد....كيف برغم كل هذه السنين ..لازلت أحب أحمد ..؟ حتى بعد صدمتي به... وبرغم جرحي الذي لا يزال ينزف...الا انه لم ينل من حبي له كثيراً...أحمد..حلم العمر..وسنين الشباب...وأجمل ايام حياتي...

- صباح الخير يا عصفورتي الجميلة....دايما جميلة ومشرقة يا ليلى..ماتغيرتيش عن زمان...بالعكس حضورك ازداد جمال ورونق.

- ميرسي يا أحمد صباح الخير ..

- يلا بينا ع البوفيه لاني شايف ان الشعب كله صحي ويمكن مانلحقش نفطر..

- هاهاها يلا بينا

لا يزال أحمد الرجل الذي يستطيع ان يرسم البسمة على شفتي وينتزع الضحكة من قلبي بسرعة قفشاته وخفة ظله...كان ولا يزال له تأثير السحر على مزاجي المتقلب...اهدأ بمجرد سماع صوته..ورؤية عينيه الباسمتين دوما..ولا يزال قلبي يسكنه الشغف .....يا الله... كيف السبيل ..كيف الهروب من هذا السحر الذي يتملكني منذ وعيت عليه...

قضينا اليوم كله معا...بعد الافطار...تمشينا على الشاطىء قليلاً قبل ان نفترشه جلوسا تحت اشعة الشمس الدافئة...جلس أحمد يتذكر ايام الجامعة...وبعض اصحابنا من الشلة...من سافر ومن تزوج ومن لا يزال عازبا...تكلم عن زواجه من نهى..وكيف انتهى بسبب اطماع والدها واهمالها له كزوج ...كان كل ما يهمها هو النجاح في عملها فقط...وطاعة والدها في أي أمر حتى وان كان الزواج او الطلاق...كانت ابنة بارة لابيها...ولكنها لم تكن زوجة صالحة..

طلبت من أحمد الكف عن الحديث عن الماضي...وعدم ذكر ما حدث مرة ثانية...فأنا لا رغبة لي بحديث الذكريات المؤلم..

قطع حديثنا رسالة من فؤاد..يطمئن على حالي ..ويسأل عن يومي كيف اقضيه....لم أعرف ماذا أقول له...فقررت عدم الرد برسالة... قررت تجاهل فؤاد تماماً في هذه الرحلة...ولم اسأل نفسي لماذا...كل ما دار ببالي عندها...أنه لا وجود لفؤاد...أحمد فقط من كان متواجدا.. وبشدة..حضوره الطاغي مسح كل من كان موجودا في حياتي...ومن أتى بعده ايضا...

قطع حبل الذكريات صوت أحمد الحنون الموصول منذ الازل إلى

شريان قلبي المترع بحضوره الأنيق...

.. وحشتيني -

يا إلهي كيف لصوته الأجش هذا التأثير على نفسي..كيف لمشاعري ان تنهار أمامه بهذه الصورة في كل مرة يقرر فيها ان يقتحم حياتي او يقتحم مشاعري....لا ..لن اسمح له ..هذه المرة لن ارضخ...لن اضعف .

الآن وقت الفرار...حملت اغراضي ووليت هاربة نحو غرفتي كي اوصد بابي قبل ان انهار أمام طوفان سحره الآسر مرة أخرى...أصبحت اخشى التواصل معه...قد يكون فيها نهايتي...او دماري...لن اتذوق كأس اللّذة المر حتى لا يعتصر قلبي حتى الموت.....

رفعت سماعة الهاتف وطلبت من موظف الاستقبال عدم تحويل اية مكالمات..اغلقت هاتفي النقال...وجلست في الشرفة قبالة البحر.. اراقب امواجه المتمردة وهي تضرب الشاطىء بعنف...بصخب ... وأحمد لم يغب عن بالي لحظة واحدة .....بقوة.....

سمعت صوت نقر خفيف على باب غرفتي....

- ليلى ...ممكن من فضلك تفتحي اتكلم معاكي ...مش هاعيد وازيد في الماضي..بس عايز اتطمن عليكي ...من فضلك...أنا واقف مستني تفتحيلي ومش هاروح الا لما تردي علي..

قررت عدم الرد على أحمد الواقف خلف باب غرفتي...جلست هادئة لم أدر بالوقت...هل كانت خمس دقائق ام خمس ساعات...

فقط جلست صامتة...دموعي لا تتوقف عن الانهمار..قلبي يلّح علي في فتح الباب...وعقلي يرفض هذه الخطوة...وأحمد لا يزال واقفا على بابي...ينقر الباب بنقرات خفيفة بين الوقت والاخر...وكأنه يراهن الوقت على هزيمتي.....

اخيرا وبعد صراع طويل بين عقلي وقلبي....خسر العقل ,,, فتحت الباب لاجده جالسا على الارض....ساندا ظهره إلى باب غرفتي....نظر لي نظرة عتب..واشتياق..ورغبة..ونظرت له نظرة انكسار...واحتياج...

تركت الباب مفتوحا....ورجعت إلى الشرفة...إلى الهواء النقي.... ظل مكانه واقفا برهة...سمعت صوت الباب يغلق وصوت خطواته تقترب....اغمضت عيني واحسست باصابعه تلعب في خصلات شعري اشتممت رائحة رجولته....كما كنت افعل دائماً...أخذني بين ذراعيه ....احتضنني كانه لم يتركني...كأن السنوات لم تهدىء أشواقنا قط او يغفلها الفراق بقسوته..وكأنه كان معي طيلة الوقت..لم يتغير..ولم اتغير...

لم تنطق شفاهنا بحرف واحد....بل تركنا لغة العواطف والمشاعر تتحدث عن نفسها بلا تحفظ...حديثا طويلا على حوافي اللهفة لا يخلو من العتب...الحنان...القسوة...والشوق المغلف بنيران الوصل.... يسكّن آهاتي ...واسّكن جموحه....يروي عطشي برجولته...وأزيده نارا

بأنوثتي ...

مازالت رائحة جسدك شهية..اصابعك رشيقة...انفاسك ساخنة... وصدرك الواسع سكني.. كانك يا أحمد لم تعرف نساءا بعدي...وكاني لم أعرف رجالا بعدك أبداً.

كنت اخبىء لك جرار العسل....وأعلم انك سترجع تتذوقها يوما ما..كيف استطعت ان تعيش طويلا بدوني.

قل لي كيف يتحول الجسد معك لجمرة رطبة مليئة باللذة المستعرة...تستكين بين ذراعيك

يتوسدها الشوق..والرغبة المتأججة التي تأتيني على شكل ذبذبات حارة...تلفحني بنار لا تنطفىء الا عندما تعتصر اللذة المتدفقة من ثنايا العطش الازلي فيذوب الإحساس بين شفتي المشهد

نارا تأكل نارا...تتلاحمان...تلتهم بعضها البعض وتزيد في ارتفاعها ..جسدان يرتقيان بالشهوة

فيتحول المشهد لكتلة من الهذيان...القوي فقط من تكون ناره الأعلى ويزيد في احتراق الآخر...كي يشعلها مرة بل مرات متتابعة..... هذيان مابعده هذيان...!

عشت مع أحمد اياما كالسحر اللذيذ...حلما جميلا أخذني لأوقات خلت كان فيه عنفوان الشباب عاتيا كأمواج البحر لا تهدأ ولا تكل... وكنت أعلم بأنى لست بطهر مريم العذراء كي أقاوم شوق أنوثتي إلى

أحضانه ، اياما من الجنة..او هكذا كنت اسمي ايامي في احضانه.
في لحظة ما , لم أعد امرأة حرة بس رجعت عابدة في محرابه...

. حتى حان موعد عودتي إلى ارض الواقع.....وانتهاء الحلم...
رجعنا متشابكي الأيدي...فرحين...قلوبنا مليئة بالطاقة والحياة....
رجعنا إلى بدايات شبابنا الأولى...حين كان صدره موطني...وحضني بيته...كنا كمن عاد إلى الحياة مرة أخرى بعد فقدان الامل منه !!!
كنت متوردة الخدين...تنطق عيني بحب الحياة مرة اخرى...

استقبلني عاصم باستغراب وبعض تكشيرة لمحتها حاول اخفائها بفشل شديد عندما لمح أحمد بجانبي فلم ينطق كلمة....وانهاءا للوضع المخجل....بادرته بالحديث....

- إزيّك يا عاصم.

- ده أحمد زميلي من ايام الجامعة...قابلته بالصدفة في شرم.... ولم ازد حرفا

- أهلا أحمد ..

- اتشرفت بمعرفتك..

ولم يزد أحمد ايضا !

همهم أحمد ببضع الكلمات واستأذن بالانصراف بلا مقدمات... لم أحاول استبقائه ولم يعرض عاصم عليه إيصاله ايضا...ظللت صامتة طول طريق العودة للمنزل

اما عاصم فكان يتكلم في اي موضوع تافه فقط لكسر حاجز الصمت السخيف...كنت البس نظارة سوداء لاخفاء مشاعري عن عاصم...حتى صوتي حاولت جعله متماسكا بدون تفاصيل...خوفا من الوقوع بالاعتراف له بما حدث اثناء سفري ! كطفلة أذنبت ذنبا شديدا..تحاول اخفائه عن امها..كي لا تخسر حبها او تعاقبها....

الحب مع أحمد لا صبر له ؛ يعلمك كل شيء دفعة واحدة، الشيء ونقيضه في تجربة واحدة . يعلمك أن تكون أنت .. وآخر في آن واحد. ويجعلك ممثلاً من الدرجة الأولى .. على الأقل أمام عاصم...

لم يخل هاتفي من اتصالات او رسائل فؤاد..لم استطع الرد عليه... او على رسائله..حتى اليوم التالي صباحا ...عندما بعث لي برسالة يقول فيها انه يقف منتظرا على باب بيتي..اما افتح له...او يرحل ...لم استطع ان اتركه واقفا على الباب بدون ايضاح...او تبرير لما قررته... استقبلته ببرود وهدوء

- تشرب فنجان قهوة.؟

همهم موافقا...وبدت عليه اثار التعب والارهاق..لم اره بهذا الحال أبداً مسبقا....الهالات السوداء غزت جفونه...ورائحته تفوح بالسجائر ... امسكت يده...الباردة....وطلبت منه ان نجلس في الشرفة...التي نادرا ما كنا نجلس فيها....سابقا...!

- ليلى...أنا حاسس انك قررتي قرار صعب ...بس لازم افهم... أنا غلطت في إيه معاكي...هو أنا عملت إيه استاهل عليه هجرك ده ..وعدم ردك علي تلفوناتي ورسايلي بقالك اسبوع؟ حتى وان كان القرار مش هايعجبني من حقي أعرف وبصراحة ليه بتعملي كدة معايا ؟

اطرق برأسه ارضا ممسكا به بيديه الاثنتين...وظل صامتا ينظر للارض .... لم انبس ببنت شفة....ظل نظري معلقا بالشرفة بلا رد فعل او تصرف يوحي بأني سانطق بالقرار الذي ينتظره مني... ماذا أقول له...؟ انني قابلت أحمد بالصدفة البحتة.... استسلمت له في اول فرصة وخنته؟ برغم انه لم يكن زوجي او كنت حتى موافقة على الزواج به؟ بماذا اعلل له صدي عنه ونفوري منذ ظهور أحمد في حياتي مرة أخرى ؟ كيف اكسر قلبه بهذا الشكل القاسي ؟ سكوتي لم يكن هروبا او خوفا منه...بل كان خوفا عليه من الحقيقة التي ستجرحه وتظل وشما اسودا في علاقتنا .... هو لايعلم ماذا يمثل لي أحمد...منذ نشأتي حتى أصبحت ما أصبحت عليه الآن... حلم الصبا...لم يكن نزوة ومرت...أحمد حفر في قلبي وجسدي اخدودا لا يملؤه الا وجوده هو

فقط...واي محاولة للتعويض كانت مجرد اكاذيب...تعمل على العقل وليس القلب والمشاعر..... الحقيقة التي حاولت ان أعيش بدونها سنينا طويلة....هذا هو أحمد...نبضة القلب التي حاولت ان اتجاهل وجودها في حياتي ان أئدها في حنايا القلب...وعندما عاد لي...عاد قلبي لينبض مرة أخرى....بقوة الحب الغير مشروط ...بقوة العشق المطلق.... دون أن أعطي انطباعًا للآخرين .. بأني لاهثة في الواقع !

..!! ظللت صامتة...وظل صامتا....حتى قام فجأة بدون استئذان... فتح باب المنزل واغلقه خلفه بهدوء....

بعدها عشت صراعا...مابين فرحتي بعودة أحمد....وإحساسي بالذنب ناحية فؤاد...لم يخلصني منه...الا وجود أحمد وتصدره الموقف ....بلا منازع....حتى عاصم....كنت ارد على مكالماته اليوميه بشيء من التحفظ....بدون ذكر اية تفاصيل تخصني او تخص مشاعري...مجرد دردشة يومية عن احواله....وما أحب ان أذكره عن احوالي فقط...كنت كثيراً ما اصمت مستمعة له..بدون حضور...بدون روح المشاركة في الحوار...فيصمت هو ايضا...ويتعلل بانشغاله لينهي المكالمة بدون ان يحرج نفسه أكثر!...

هكذا كان تأثير وجود أحمد في حياتي...انعزالي مرة أخرى عن

العالم..وعن المشاركة الا له ومعه فقط... ظل أحمد يتردد علي بين الحين والاخر...نخرج سويا لنسهر او نتعشى ...نرقص ....نعيش لحظات من الخيال.... كأني ملكت العالم بيدي....مجرد وجوده يعطيني مفاتيح السعادة كلها مرة واحدة....تنهمر على قلبي فيها كل الوان الفرح...ويغرقني بكل اطياف السعادة والنشوة .... لم نتطرق في الحديث أبداً للماضي...ولا للمستقبل...كل ماكان يجمعنا هو البهجة...والمتعة...والصحبة الرائعة!

... حتى فاجئني يوما بجملة غريبة -

- ليلى.....تفتكري ممكن الزمان يعيد نفسه تانيى بس المرة دي إنتِ الي تسيبيني؟

إيه الي بتقوله ده يا أحمد؟ مش فاهمة قصدك؟ -

- قصدي ممكن تفرقنا الدنيا تاني؟ بعد ما قابلتنا ببعض بالصدفة

- والله لو تقصد اني اردلك الي انت عملته فيا...ف أنا مش بعرف أعمل كده....أبداً...أنا صافية من جوه تماماً..عشان بحبك بجد..... وكل مابنسى بترجع تفكرني يا أحمد مش عارفه ليه؟؟؟ وبتقولوا على الستات انهم بيحبوا النكد...وبيفتكروا حاجات بتنكد عليكم ..

- خلاص يا ليلى انسى الي قلته خالص....احتمال اسافر الايام الي جاية....عندي معرض برة...وشويه اجتماعات...الدنيا ملخبطة معايا في الشغل الايام دي...ومحتاج اركز...متقلقيش لو انشغلت عنك...!

- ان شاء الله امورك تبقى كويسة.... بس من فضلك يا أحمد كل الي بطلبه منك انك ماتفاجئنيش .

بعدها بأيام قليلة اختفى مرة واحدة..لم يتصل لمدة يومان.. اتصلت به كثيراً...لم يرد على هاتفي..أبداً...اختفى وكانه لم يكن... حاولت ان اتصل بشركته...كل ماكنت أسمعه انه سافر فجأة للخارج ....عنده عمل مفاجيء....لم أعرف كيف اتصرف...أحمد ؟؟؟ هل اختفيت مرة أخرى كاختفاؤك الاول؟ هل تزوجت مره أخرى وتركتني فجأة.... تلاعبت بي الظنون...وقتلني الشوق...والوسواس ..دارت مئات الاسألة في رأسي...هجرني النوم والاحلام...وهجرت الطعام ....وماتت الابتسامة...حتى عاصم...لم اكن ارد على مكالماته ايضا...لم يعد بوسعي ان امثل عليه أكثر من هذا...سوف اصارحه.. واطلب منه الدعم ...وأنا أعلم انه لن يتوانى او يتأخر عن الوقوف بجانبي...ويسندني في هذا الموقف السخيف الذي وضعت نفسي فيه مرة أخرى....

لن انعزل عن العالم وانتحب وابكي مرة أخرى عليه...سوف انجو من محاولة اغتيالي هذه المرة ... وعُدت إلى نفسى أسالها... لاأدرى لماذا مازلت متعلقة بأحمد هكذا...!

- الو ...
- ايوه يا ليلى....فينك يابنتي...بقالي كام يوم بدور عليكي...
- إزيّك يا عاصم....
- صوتك ماله...إنتِ معيطة؟
- اه...

- فيه إيه ؟ قلقتيني عليكي...مالك في إيه؟

وأمام اهتمام عاصم والحاحه....بدأت نوبة جديدة من البكاء الصامت...

- طيب اقفلي عشر دقايق هابقى عندك...

حضر عاصم...وحضر معه الدفء من جديد....بدأ حديثه بعصبية وسرعة...

- مالك قلقتيني فيكي إيه....اتكلمي...

- مفيش يا عاصم...أنا اصلي كنت مخبية عليك....ان أحمد ده كان حبي الاول....و....

- اه فهمت...حسيت برضو ان فيه حاجة بينكم...لما وصلتك من المطار يوم شرم الشيخ...كان وشك مورد....وكنتي مبسوطة وسرحانة

...حسيت والله...بس إنتِ عارفاني مش بتدخل الا بالقدر الي بتسمحيلي بيه....هه ماله أحمد بقى....وإيه قصته؟

وسط بكائي ودموعي ..ونحيبي المتقطع...سردت لعاصم حكايتي مع أحمد منذ البداية...كان مستمعا جيدا..لم يقاطعني الا لعمل فنجان من القهوة...او لمسح دموعي...كان يمسك بيدي تارة...ويربت على كتفي تارة أخرى...

سردت له مرارتي ووجعي..فقدي لكل من احببتهم واحبوني.. ركضي وراء وعوده الكاذبة...وخيانته التي قطمت ظهري..وكسرة قلبي...انهياري .. ضياعي ..وعودة روحي بعد لقائي بطارق...ومن ثم ظهور احمد من جديد..الذي اعادني لما كنت فيه من تخبط وخوف وقلق من المجهول...

- طيب يا ليلى...أحمد ده الي تعبك في حياتك كلها...مش هأقولك إنتِ رجعتي له ليه..لاني عارف قوة الحب ...وعارف تحكماته في القلب...بس هأقولك حاجة تانية...إنتِ متوقعه منه إيه بعد الي قلتيه...انسان بتاع وقته...وبتاع مصلحته...عايزاه يتغير ليه بعد كل السنين دي...متوقعة انه مثلا هايقولك يلا نتجوز...طب وفرضا اتجوزتيه...هاتبطلي تقلقي من خيانته..أو انه في يوم هايسيبك لواحدة تانيه حسب مصلحته؟

ثم استطرد قائلا ....

- ليلى أحمد يعرف حاجة عن ثروتك...ولا يعرف عن مواردك المالية حاجة؟

- لا أنا مقلتلوش عن اي حاجة مادية تخصني...هو فاهم اني بشتغل وبس...

- طيب من فضلك...لما يظهر..ده لو ظهر تاني يعني...بلاش تفهميه اي حاجة عن مادياتك خالص....سيبيه فاهم انك موظفة وليكي راتب شهري وبس....زي مإنتِ كدة...ده لو ظهر يعني....

- انت متخيل ان أحمد مثلا هايطمع في مالي؟ قول بصراحة عايزه افهم قصدك إيه....

- بصراحة...أحمد انسان مادي وطبعا يهمه مصلحته اولا...ولو عرف انك وريثة لملايين...عمره ماهايسيبك أبداً...كلامي ده أنا واثق منه بعد الي عمله معاكي في الاول...وعلى العموم...سيبيني اسال عنه واشوف وراه إيه...لازم أعرف هو عاش الفترة الي فاتت إزاي وبيعمل إيه حاليا...عشان امانك إنتِ...بس إنتِ مقلتليش هو عرض عليكي الزواج؟

- لا...ماعرضش ....اخر مرة قالي انه ممكن يختفي لأنه عنده

مشاكل في شغله...مسألتوش...كل الي قلتهوله انه مايفاجئنيش بتصرف يتعبني...اقصد انه مثلا يهجرني او يتجوز فجأة زي ماحصل اول مرة....

- طيب ...سيبيلي الموضوع ده...هاسأل عنه...وأعرف هو فين وبيعمل إيه حاليا...وماتتصليش بيه تاني...خليه لحد ما يظهر تاني....وهانشوف التطورات ...ممكن من فضلك تهدي بقى خالص وماتحاوليش تتصلي بيه تاني؟

- حاضر...!

مر يومان ثقيلان جدا...قبل ان تأتيني مكالمة من عاصم...يخبرني فيها انه قادم لزيارتي .....

- بصي ياستي...أنا جبت لك اخبار أحمد كلها...جبت قراره..... أحمد بقاله فترة متعسر ماليا...عنده مشاكل مع شركاه....مش عارف يطلع منها إزاي....حاول انه ياخد قرض من البنك...بس البنوك رفضت لان معندوش حاجة تترهن غير الشركة الغرقانه في الديون... حاول يبيع ....السعر مجابش قيمة الديون...فـ بيحاول انه يشتغل.. هو فعلا سافر....راح يشوف شريك اجنبي تاني يدخل معاه...ويجيب شغل يشغل بيها شركته ....ومصادرى اكدت لي انه مفيش ست في حياته غيرك....ده المؤكد...طبعا كان نفسي يطلع فيه ستات تانيه عشان تبعدي عنه لمصلحتك...بس للاسف هو غرقان في حل مشكلة الديون الي عنده....وهو المفروض انه راجع كمان يومين...وبرغم

كدة...ملوش حق أبداً انه مايقولكيش انه مسافر...ويسافر كدة فجأة...ده مش احترام للعلاقة الي بينكم أبداً.....

عاصم كان يتحدث بتلقائية محاولا اخفاء غيرته الشديدة من أحمد...وحاول على قدر الامكان ان يكون حياديا...لكنه لم يستطع في نظري ان يخفي هذا كعادته...فأنا أعرف إلى ما يرمي في حديثه... محاولاته لاخافتي من علاقتي بأحمد بسبب تعسره المالي...واضحة تماماً...وان كنت لا اشك لحظة ان دافعه هو الخوف والقلق الشديدان علي مصلحتي.....وقبل هذا بالتأكيد....حبه لي...!

هدأت كثيراً بعد زيارة عاصم...وبدأت استعيد توازني...وشهيتي للطعام ...بدأت ارجع للعمل مرة أخرى...واقرأ مشاكل القراء... واجيب عليها بتعقل شديد...محاولة ان اجنب نفسي الهوى...وما ينم عن الهوى...كما كنت سابقا...قبل لقاء أحمد ...الثاني...

- وحشتيني

هكذا بدأ أحمد حديثه عبر الهاتف ...

- وحشتيني اوي....افتقدتك...أنا من غيرك بعيش بدون إحساس... شغل في شغل...حياة جافة...ليلى وحشتيني...مابترديش ليه..اوعي تكوني زعلتي اني سافرت فجأة...بس أنا قلتلك اني مشغول وعندي مشاكل في الشغل...ارجوكي ماتزعليش...متعرفيش غلاوتك عندي ..ولا

تعرفي أنا اضطريت فجأة اسافر ليه...لما اشوفك هاحكيلك...ممكن اشوفك الليلة؟

. ..!! كعادتي لم امانع في زيارته ..

طالما لم يكن هناك نساء غيري في حياته... فالعمل علينا حق !!! فهل نحن ضحايا أنفسنا ، و الآخرون .. مجرد حجة ..؟؟ سنرى

- تعرفي اني اتعودت على وجودك في حياتي ومش عارف أعيش من غيرك؟ خايف أقولك يلا نتجوز ....لاني مش عارف ان كنتي هاتوافقي وأنا وضعي في العمل مش مستقر...بس هأقولك أنا مش هاتجوز حد تاني غيرك...لو وافقتي هأكون اسعد انسان في الدنيا... ولو موافقتيش برضو مش هاسيبك...أنا عايزك ....

اعتدلت في جلستي ...واشعلت سيجارة مستغلة الوقت لجعل الكلام محبوسا لبرهة قيد ترتيب الكلام والتفكير ...لا أعلم...هل أبداً حديثي معه معاتبة على غيابه...ام أوافق على طلب الزواج... ام أرفض..ام استمر في نفث دخان سيجارتي المرتعشة بصمت .....كل ما استطعت ان افعله ان انظر اليه وهو ممدد عاري الصدر بجانبي ..يرمقني بشيء من الفضول...منتظرا حديثي...!

ياإلهي كم انت وسيم يا أحمد..اراك لا كما يراك الاخرون أبداً... اراك حضني الازلي.. مسقط راسي الاول.....رجلي الاوحد..كنت ولا

زلت اميري....وفارسي الذي لا يشق له غبار....غار منك الرجال... وأغريت النساء بحسنك بعد يوسف...فهل انت وسيم كما اظنك...ام الحب هو ما يجعلك في نظري مجردا من العيوب ؟

أفقت من أفكاري الشاردة..على قبلة حارة في نحري....أحمد... كعادته..يعرف كيف يستقطب احاسيسي..ويشرد أفكاري.....

- يلا بقى اتكلمي....

- انت عارف اني بحبك..وعمري ما حبيت غيرك برغم كل الي حصل ..وبرغم السنين..حتى لما قابلتك....مكنتش قادرة امنع نفسي عنك...أنا مش عارفة حقيقي اتعامل معاك إزاي...بتغيب وقت ماتحب...وتظهر وقت ماتحب ومعتبر وجودي في حياتك كأمر مسلّم به طالما بحبك وطالما مش معترضة او يمكن معتبر اني مش قادرة اعترض على اي تصرف بتعمله او كلام بتقوله...أحمد أنا محتاجة منك اكتر من الحب...محتاجة منك الامان...ماتردش من فضلك... خليني اكمل كلامي...أنا مش حاسة بالامان معاك...ومش عشان انت خنتني مره وسبتني واتجوزت غيري...ولا عشان قعدت سنين طويلة بعيد...ماحاولتش انك تكلمني او توصلي او تقابلني او حتى تبعتلي رسالة اعتذار...مش عشان كده وبس...لا عشان انت أناني وأنا تعبت من أنانيتك ولو اني مش عارفه اتعب من حبك أبداً....ياريت تفكر قبل ماتقول انك عايز تتجوزني او تستمر بدون جواز لانك عارف تماماً اني مش هاكمل معاك بدون زواج...وكمان مش عارفه

أوافق على عرضك ده...ببساطة...أنا...خايفة منك !

جذب رأسي إليه بقبلة طويلة...افقدني فيها اتزاني..وتركيزي... وخوفي...وتمنعي.....

بعد لقائي الاخير بأحمد...بدأت زياراته تكثر....فتارة يشتاقني.. وتارة أخرى...جائع يريد التهامي مع الطعام...وتارات اخريات..... عشق وقبل واحضان ووووو.....

كان عاصم كثير الاتصال...والسؤال...كثيراً ما ابدى قلقه...وقليلاً ما تحفظ في أبداًء رإيه بأحمد..وتحذيري من مغبة الاستسلام لعواطفي هكذا دون لجام....استحق أنا هذا الذنب....فأنا من أعلمته بقصتي...وادخلته كطرف ثالث في هذه العلاقة....حتى خطر لي خاطر غريب ...

فقررت ان انفذه....

- الو...

- ليلى عامله إيه النهارده بقالك يومين مش بتكلميني...قلت اكيد مبسوطة...وأحمد مش مزعلك...

بعد هذه الجملة....احسست بغيرة عاصم...احسست بألمه... وكرهه لأحمد...

- عاصم...إيه رايك أعرفك على أحمد...نخرج نتعشى كلنا سوا...؟؟
-.....!.

- سامعني يا عاصم...

- أأأ ...عايزاني اقابله ليه يا ليلى...خليكي دوغري....

- أبداً يا عاصم يمكن انت تقدر تحكم على شخصيته اكتر مني... وتقولي رايك...

- مش محتاج اقابله عشان احكم عليه يا ليلى...أنا خلاص فهمته ...وقلتلك...

- اه....بس كان نفسي يحصل لقاء بينكم..اكيد هاتعزز رأيك فيه او تغيره مثلا؟؟؟

- اه قولي كدة بقى...إنتِ عايزاه يأثر عليا زي ماهو مأثر عليكي ومخليكي مش شايفة غير الي هو عايزك تشوفيه...بس مش هاينفع يا ليلى...أنا أرفض هذا التعارف لاني مؤمن ان علاقتك بيه خطأ من الاساس...وبعدين مباركتي للعلاقة دي امر غير وارد نهائي...ايا كانت الظروف ..ده لو يهمك مباركتي من اساسه.....

حمدت الله اني لم أعلم أحمد بقراري قبل محادثتي مع عاصم..... وانهيت المكالمة مع عاصم....بخيبة امل كبيرة...فعاصم عنيد..وأعلم تماماً انه عندما يصمم على امر ما...فإنه لن يغير رإيه أبداً...أبداً...!

صحوت من نومي مفزوعة على صوت لوزة..تصرخ من الالم... لم أعلم ما العمل سوى ان اتصل بفؤاد...وان كنت أعلم انه سيأتي

متضررا...ولكن لم يكن أمامي خيار اخر...فلوزة تتألم ولا أعلم مابها....
حضر فؤاد..مع كثير من التحفظ....بعد الكشف على القطة...
طلب مني بعض الادوية والمحاليل كي يعالجها بها قبل ان يذهب...

- خير مالها يا فؤاد؟

- عندها التهاب مثانة...ومحتاجة علاج فوري مع المحاليل والي طبعا مش هاتعرفي تديهم لها...فمضطر اني اجي مرتين في اليوم اديهم لها...او تسيبيها في المستشفى عندي وأنا اعالجها...

- لا مش هاقدر اسيبها معلش هاتعبك معايا...مش عايزاها تتألم وهي وحيدة...على الاقل أنا جنبها هنا في بيتها ....خليها هنا وانت تبقى تيجي ....ومتشكره على تعبك معايا...

- نظر لي نظرة طويلة كلها عتب....قرأت في عينيه لمعة ألم ...وحزن.... وبقايا حب...!

- لا مفيش تعب يا هانم...إنتِ عارفة معزتك عندي...وكمان ده واجبي...كطبيب....

طلبت من أحمد ان يقلل زياراته لي..بسبب مرض لوزة...وكان هذا السبب الظاهر.....وان كان السبب الخفي اني خفت ان يراه

فؤاد...وانشغلت بزياراته وعلاجه لقطتي التعبة...حتى انتهت فترة علاجها ورجعت لها عافيتها...وانتهت زيارات فؤاد...الذي لم يحاول ان يعاود فتح الماضي أبداً....كانت كرامته تؤلمه وتجعله أبي النفس في ان يعاود فتح قصة حبه لي..احسست بالخجل من نفسي...وأنانيتي المفرطة في التعامل معه....وان كان ظل يهاتفني يوميا للاطمنان على حالة لوزة.....

حتى حدث ما لم يكن في الحسبان أبداً....رآني فؤاد في سهرة مع أحمد نرقص سويا....وكان يجلس مع اصدقاء له... دفنت وجهي في كتف أحمد...وحاولت ان اتوارى عن عيون فؤاد....الذي لم يستطع السيطرة على اعصابه غالبا كان مفرطا في الشرب...قام من مكانه قادما الينا وظل واقفا ينظر لي...حتى انتبه أحمد...وتوقف عن الرقص...ونظر له.....نظرة عدوانية...فبادره فؤاد ...

- آسف...افتكرت اني أعرف المدام الي بترقص معاك...

فرد عليه أحمد بعصبية وصوت عال

حضرتك حتى لو تعرف المدام....مش شايف ان معاها راجل ؟

- اسف مرة تانية....بعتذر

وانصرف مبتعدا ...دون ان يحاول النظر خلفه أبداً...

إنتِ تعرفي الراجل ده ؟

- أأأنا..

- اه ردي ...ماتحاوليش تكدبي يا ليلي...بصة عينه بتقول انه عارفك....وعارفك كويس اوي...

- طيب تعال نقعد وهاحكيلك....

سردت لأحمد قصتي مع فؤاد...وان سفري لشرم الشيخ كان بسببه...واني لم اكن على ثقة من قرار الزواج...حتى قابلته...فمسح من ذاكرتي وحياتي كل اثر له....

سكت أحمد طويلا..منصتا لي..كان عصبيا جدا...يحاول ان يكسر عصبيته بتجرع شرابه كأسا وراء الاخر...حتى أصبح ثملا....فطلبت منه ان ننصرف...حتى لا يتصرف تصرفا اهوجا ....

أوصلني...ورحل...

قضيت اياما من الصراع والقلق...اتصل به؟ ام انتظر حتى يهدأ ويتصل هو؟

كان عاصم متابعا لي وللاحداث من بعيد....يملي رإيه الدائم بأن أحمد لا يصلح للزواج...ويجب ان انهي علاقتي به...او اتحمل نتيجة العواقب بسبب ضعفي أمامه...أصبح عاصم عصبيا جدا... وكثير الانتقاد...لدرجة ارهق بها أفكاري...فأنا اثق برإيه..ولكن كيف السبيل لتنفيذ ما يمليه علي..مع اقتناعي بصواب رإيه؟ وأنا الضعيفة...المسكونة بهاجس أحمد...لدرجة الاستسلام لكل ما يفعله؟

- لازم تسيبه يا ليلى

- اسيبه ليه يا عاصم...أنا مبسوطة معاه...أنا ....أنا فعلا عايزاه ...وعايزة أعيش عمري كله معاه...

- عشان هايتعبك..هايرجعك لمرحلة الصفر...هايستهلك كل مشاعرك...وعمرك...زي ما عمل قبل كدة...أحمد انسان مش عارف هو عايز إيه...هو عايز يبقى ناجح في شغله بس مش مهم عنده إنتِ ولا غيرك الي ممكن تحقق له الكلام ده...هو بس بيسترجع معاكي شبابه...ولو لقي واحدة تانيه تقدم له اكتر من الي بتقدميه... هايسيبك ...مش هايتردد لحظة واحدة...

- معلش يا عاصم أنا مش مقتنعة أبداً بكلامك..مع احترامي لرأيك بس أنا شايفه انك بتتجنى على أحمد اوي...ومش عارفه ليه... بصراحة..أنا .....أنا حاسه انك بتغير منه...

سكت عاصم كثيراً....قبل أنا يجيبني بصوت مبحوح....

- وإيه الي هايخليني اغير؟ أنا عايز مصلحتك بس...وأوعي تفتكري اي حاجة تانيه ممكن تيجي في بالك أبداً..او حتى يصورهالك خيالك.....إنتِ صديقة بعزها وبحترمها....صديقة عزيزة ...وطارق الله يرحمه وصاني عليكي كتير وإنتِ عارفه ده كويس اوي...بس

مفيش اي سبب تاني خالص...!

قلل عاصم من سؤاله اليومي عني....أصبح يحادثني محادثات روتينية جافة للإطمئنان فقط لاغير...يسألني ان كان لي حاجة يقضيها لي...فقط بدون التطرق لسيرة أحمد أبداً...وأحمد..أحمد لم يعد كما كان...أصبح كثير الصمت...والتجهم...والغياب...حتى عندما يكون حاضرا..يكون غائبا...

حتى كان يوم...طلب مني عاصم اللقاء ....لأمر مهم..

مّر على بيتي وذهبنا إلى مطعم كنا كثيراً ما نرتاده في منطقة الزمالك العامرة بالاماكن الراقية....

اوصلنا الجرسون المبتسم بتحفظ إلى طاولة بعيدة عن الضوضاء.....تتوسطها شمعة صغيرة داخل كرة بلورية حتى لا يطفئها الهواء البارد الصادر من المكيف المعلق في السقف....تتهادى إلى اسماعنا موسيقى للموسيقار الشهير يانّي بهدوء لذيذ يتمازج مع الوان المكان الدافئة فيسري الخدر في الاعصاب بهدوء عبقري.....لابد ان من اخترع هذا الديكور ...له علاقه بالطب النفسي...فما يفعله جو كهذا في النفوس جميل وأثره رائع على النفس ...هذا ما دار برأسي الصغيرة وأنا ادندن مع الموسيقى بعفوية طفولية....

اما عاصم...فكان بعيدا كل البعد عن الهدوء...ولو انه كان صامتا... جدا...صامتا بشدة...صامتا مع سبق الاصرار والترصد...يتابعني بعيون كالصقر المنتظر لحركة فريسته كي ينقّض عليها من حيث ضعفها.....

هكذا كان عاصم يعشق التفاصيل الصغيرة والتي لا يمكن ان تثير انتباه الاخرين أبداً....كي يثري بها طاقاته الكامنة والتي لا يمكن ان يخرجها الا في اوقات الشدّة...وهاقد حان وقت الشدّة ..هذا ما احسسته وأنا احاول ان اتشاغل عنه بمتابعة من حولي من رواد المكان الأنيق....

- هاه....هانتغدى إيه يا عاصم؟ قررت؟

- مممم ممكن اختارلك أنا الاكل؟

- اوكي ! انت عارف ذوقي وياما اتغدينا سوا..هاسيبك تفاجئي المرة دي...!

ضغط على زرار صغير لطلب الجرسون...وطلب منه بعض الاطباق من السومون فوميه..والحمص...وبعض المقبلات الأخرى....اما الطبق الرئيسي فكان عبارة عن اسماك وجميع فواكه البحر..

وبانتظار الوجبة العامرة ...حاولت ان استشف منه اية معلومات تتعلق بهذه الدعوة المفاجئة والغير مرتبّة مسبقا...وان كنت في قرارة نفسي..احسست ببعض القلق من هذا اللقاء...ولكني حاولت ان اجنب نفسي التكهنات التي قد تأخذني في اتجاهات أخرى خاطئة

فيظهر التوتر على ملامحي وصوتي....

- ليلى...أنا اترددت كتير قبل ما اطلب منك اقابلك...بس لقيت ان فرصي في الكلام مع الوقت بتقل..وقلت لنفسي...لو ما اتكلمتش دلوقتي....يبقى عمري ما حاقدر اتكلم معاكي بالموضوع ده تاني.... هايبقى فات الوقت...ومش هاينفع اتكلم فيه أبداً....!

- مالك يا عاصم...ومن امتى احنا بنفكر قبل ما نقول لبعض اي كلام عايزين نقوله؟ من امتى فيه بينا حواجز....عشان نقول اي حاجة جوأنا ؟

- لا استنى...أنا بس عايز ابتدي الكلام بدون ما تقاطعيني او تلخبطيني فاضطر أقول حاجة قبل حاجة من فضلك..أسمعيني وخليكي لاخر لحظة مركزة عشان ماتفهمنيش غلط...

- اوكي ....!

- اول ماعرفتك...كنتي زوجة لصديق عمري....الله يرحمه.... وكنت بشوفكم اسعد اتنين في الدنيا...لدرجة اني حسدت طارق على اختياره....حتى لو كان عاش معاكي وقت قليل..بس أنا متأكد انه عمره ما كان هايكون أكثر سعادة من الوقت الي قضاه معاكي....

كنت بشوف الفرحه بتنط من عينيه...لما بيشوفك....ولمعة عيونه لما بيسمع صوتك....أنا بجد كنت بحسده عليكي...مش حسد بمعنى اني أتمنى ان العلاقة تنتهي قد ما كنت أتمنى اني أعيش واحس الإحساس الي جمعكم ببعض....

ولما اتوفى طارق....كنت بأنّب نفسي على أنانيتي ...وقد إيه كنت مش شايف الا نفسي....وحاولت اني اعّوض ده في صداقتي ليكي المجردة من اي غاية او مصلحة شخصية...واكيد إنتِ حاسة بكدة...اني عمري ما بصيت لك الا كصديقة...وانسانة بحترمها وبقدرها وبتمنى لها السعادة بغض النظر عن اي حاجة شخصية جوايا تخصك...

- أنا من زمان وأنا متعلق بيكي....ونزولي مصر كان عشان افضل جنبك...بدون اي غاية او مصلحة ليا...مجرد اني اتطمن عليكي...وابقى معاكي في اي حاجة إنتِ بتعمليها كان بيسبب لي سعادة كبيرة....كنت بستمد من إحساسي بيكي طاقتي للحياة كلها...أنا اتجوزت قبل كدة جواز صالونات...بس عمري ما حسيت ولا جربت الحب والغرام زي ما كنت بشوف في الافلام او حتى زي ما شفته معاكي إنتِ وطارق... أنا مش هأقولك اني بحبك...لاني عارف انك بتحبي أحمد...ومش شايفة غيره....بس أنا فعلا...ومن زمان...بتمناكي...وكنت بعشم نفسي انك في يوم هاتحسي بيا...وتبقى زوجة ليا...وتشوفيني زي مابشوفك ..من جوه..

انقطع الحوار..... مع قدوم الطعام ...لم انبس ببنت شفة.... حاولت التركيز على الطعام فقط كي اعطي نفسي الفرصة في ترتيب أفكاري....ماذا أقول له...ما المطلوب مني وأنا مكبلة العاطفة الا

لأحمد؟ لا أعلم ..فـ عاصم من أكثر الناس قربا لقلبي وعقلي.... صديق صدوق أأتمنه على نفسي ومالي...ولكن...هو يطلب مني ماهو أكثر من الصداقة...او ما لا املك ... قلبي وعاطفتي....يا إلهي..كيف تتسارع الاحداث بدون ان أعرف كيف اسيطر عليها...وماذا املك من امري الان..غير ان اعتذر منه بلباقة....وتقدير مشاعره المرهفة.... بدون ان اجرحه في عاطفته الراقية..والتي كنت أتمنى ان أكون حرة العاطفة والجسد كي ابادله اياها...ولكن...منذ متى كان لنا على القلب سلطان....وسلطان قلبي أنا متربع على عرشه مستبد....

- شوفي يا ليلى مش عايز منك رد...أنا بس حبيت اعترفلك واريح ضميري من العبء الكامن على قلبي بسبب الشعور الي مليش يد فيه ده...أنا مش هاطلب منك انك تبادليني مشاعري..وعارف ومتأكد انك مش هاتعرفي « تخوني» إحساسك ناحية أحمد...بس عايز منك حاجة توعديني بيها...انك دائماً وأبداً...تعرفي اني ظهرك وسندك...في اي وقت...حسيتي انك محتاجه راجل...يسندك في حياتك...ويوقف معاكي وجنبك...ايده في ايدك....هاتلاقيني أنا ....ومش هأقولك اكتر من كده...

ياإلهي كم اراحتني كلماته الاخيرة وازاحت عن قلبي عبء الرد....

- عاصم...أنا كنت حاسة بمشاعرك دي ولو اني كنت بكدب نفسي...كنت بقول مفيش انسان بيحب حد بدون ما يكون عايز منه مشاعر قصاد مشاعره دي....مفيش انسان بيحب انسان بدون ما

يطلب منه انه يحبه زي ماهو بيحبه...بس اكتشفت اني كنت مخطئة تماماً...انت ملاك مش انسان عادي...كونك تحبني الحب ده كله بدون ما تبين لي او تحاول تستغل ده حتى في اصعب لحظات حياتي احتياجا لسند...ده ملوش معنى غير انك فعلا راجل نبيل...ومحترم.. وبتحب باخلاص....انت من الزمن الجميل الي كان فيه الراجل يعرف يعني إيه رجولة ومواقف نبيلة تعرف..ّ! بعد كلامك ده كنت أتمنى ان أحمد مكانش ظهر تاني في حياتي...

- واني ارجع لوحدتي....اكيد ساعتها كنت هاشوفك من جوه اكتر من كدة...او الغمامة تروح من على قلبي...واقدر ابادلك ولو جزء بسيط من عواطفك الرائعة دي...بس انت اكتر واحد حافظني وفاهمني...وعارف أنا تعبانه اد إيه بسبب عاطفتي ناحية أحمد.... مش هاقدر أقولك خليك جنبي لو انت شايف اني بجرحك اكتر من كدة..مقدرش أكون أنانية واطلب منك الدعم والسند وانت بتشوفني بحب انسان تاني او معاه....أنا هاسيبك تقرر اي حاجة انت عايزها....ومش هازعل منك بالعكس...هـ أحترم قرارك ده...

- ماتكمليش يا ليلى...أنا مش هاسيبك...خلينا اصحاب...زي ماحنا بس مش اكتر...ويوم ماتحبي يبقى فيه راجل في حياتك بالشكل الصحيح...هاتلاقيني مستنيكي وقلبي مفتوح لك...أنا مقدّر

تماماً إحساسك وعشان حاسس زيك بالحب بدون مايكون لي سيطرة على الي اختار قلبي انه يحبه ...مقدرش الومك أبداً...احنا زي ماحنا... بدون تغيير...أنا كدة ارتحت !

يا عاصم ما سر محاولتك اغواء ملذاتي..ما سبب انجذاب رجولتك لبقايا امرأة مثلي ودعت رغباتي مع اخر رجل كان ملكا على مناطق الشهوة والرغبة في جسدي المنهك..فتحولت البراكين لمياة راكدة... تحتاج لسنوات طويلة من المشاعر كي تفور مرة اخرى ..

وانت يا أحمد كم جرحني فراقك..طوال السنين الفائتة...وكم أتعبني لقاؤك ايضا...فها أنا اقابل حبا صادقا...انسانا ودودا...يحبني لشخصي...لروحي...لاني أنا ...بدون ان يحملني ما لا طاقة لي به... فقط يحبني بتجرد....وحبك كالعادة يقف عثرة في طريقي...لا أعرف ما افعل بحبك...ولا كيف الخلاص....

آه يا احمد....

لماذا أحبك دون اكتفاء
كأنك لـ عطشي مطر السماء
وكأنك خُلقت كما الرغبة
كما التمنّي.....بلا اخطاء
وكأنك كنت لجسدي ....الرداء
فعلمني...كيف لا يكون الحب عظيما
وكيف لا ينبت عشقك.....إرتواء!...

هكذا قضيت ايامي...مابين لقاء وفراق مع أحمد الذي كان حبي له ولا زال كموج البحر لا ثبات ولا انتهاء...وايضا...لا قرار...وأنا ...أنا الضعيفة كسمكة ولدت من رحم بويضة منسية....تركتها الأقدار في قاع مظلم...يلعب بها التيار..مرة يمينا...ومرة يسارا...ولكنها أبداً لم تنعم بوطن !!!...

- ليلى....أنا محتاج اتكلم معاكي في مستقبل علاقتنا...المرة دي لازم ناخد قرار..!

هكذا بدأ أحمد حديثه بعد لقاء عاصف تبادلنا فيه كل اصناف مشهيات الحب...أرهقنا بعضنا البعض...افرغنا شهوتنا بلا تعب...بلا ملل او كلل...كعادتنا في اللقاءات الحميمة....لم يكن أحمد الا جسد خلق من اجل جسدي...وإحساس عاش لاجل إحساسي ....ووطن بات لجسدي كالكفن...مهما هربت منه...مصيري سيكون منتهيا بين حبات ترابه.....

رفعت خصلة شعري المتهدلة على عيني....واعتدلت في جلستي

بعد ان اشعلت سيجارتي الاولى في هذا المساء العاصف...

- نتكلم يا أحمد وماله.....

- نتجوز بقى...ونسكن مع بعض في بيت واحد....ونشوف الحياة بيّنا هاتمشي إزاي....

- انت ناقصك إيه في علاقتنا يا أحمد عشان نتجوز؟

- مش فاهم قصدك يعني إيه ناقصني ؟

- يعني ناقصك إيه مش بنعمله كأننا متزوجين؟ احنا بننام سوا... بنعيش سوا...بناكل ونشرب ونتنفس سوا...ناقص الخلفة...وانت عارف اني معنديش اي رغبة في انجاب وتربية الاطفال...خصوصا في سني ده...

- ياه يا ليلى...إنتِ بجد ليلى الي أنا حبيتها من سنين طويلة ..ليلى الي كان اقصى حلمها اننا نرتبط..اننا نعمل بيت ...ننشىء اسرة واطفال ...بيت صغير كله حب ؟؟

- وانت يا أحمد جاي دلوقتي وبعد ما كسرت احلامي وقلبي ..تفتكر الكلام ده؟ لا طبعا ليلى اتغيرت وبقت واحدة تانية...اقوى.. اقسى...الحاجة الي مقدرتش اغيرها فيا ولا انت...ولا حتى الزمن كسرها...هي حبي ليك...مقدرتش اني اكرهك او انساك...غير كدة.. حاجات كتير اتغيرت فيا...وفيك اكيد...وفي الدنيا حوالينا...

- افهم من كدة يا ليلى انك مش عايزة نرتبط ونتجوز؟

- أنا مقلتش كدة...أنا بسألك إيه هدفك من الزواج ؟

- هدف إيه!...اننا نتوج قصة حبنا بالزواج زي اي اتنين بيحبوا بعض...وعارفين بعض...ومبسوطين مع بعض...ومش ناقصهم الا الشكل الاجتماعي عشان يكملوا حياتهم سوا...

- فهمت قصدك...انت عايز تكمل الشكل الاجتماعي على اساس اننا خلاص كدة جربنا بعض في كل حاجة...والدنيا بقت متظبطه... وإيه تاني ...هل فيه اهداف تانية ولا خلاص كدة.....

- مش فاهم قصدك يا ليلى؟؟

كنت استدرج أحمد بأسألتي المستفزة وأجره جرا إلى قاع الحقيقة المجردة....أعرف نواياه كلها مرة واحدة....اغوص في خفايا نفسه الكتومة....اكشف الغطاء عما يعتمل في صدره...وأعلم ما في مكنون نفسه الغادرة....

- معنديش قصد يا أحمد....انت عايز شكل اجتماعي يتوج قصة حبنا....ولا فيه اشكال تانيه ممكن نكملها بعلاقتنا الرسمية بعد كدة.؟

بعد تردد قصير .....قام خلاله وصب لنا كأسا من العصير شربناه سويا ....اشعل سيجارة واعطاني اياها...قبلني في شفتاي قبلة لم احس

بطعمها وان كان حاول ان يفتعل فيها عاطفة ما فاتني الغرض منها ومنعني من ان اتفاعل معه ...

- مش عارف...أنا كنت بفكر نعمل شركة سوا...او مؤسسة صحفية...

- اه..تمام...يعني شراكة حياة وعمل ...

- تقريبا كدة....لسه مفيش في دماغي اي أفكار نهائية...كنت بفكر نستفيد من خبراتك وخبراتي....ونعمل حاجة بتاعتنا احنا الاتنين....نشتغل فيها...نبتدي حياتنا مش اكتر...

صمت بعدها...منتظرا ردي ..الذي طال قليلاً...كنت اثناءه احاول اشغال نفسي بتغير القناة في التلفاز لقناة موسيقية محاولة ان اكسب المزيد من الوقت...كي اتلاعب بأعصابه ومشاعره....كنت لدي رغبة دفينة في جعله ينتظرني دهورا....او للابد...منتظرا ردي...ولكني لم اتمادى في برودي أكثر من هذا ...فأنا أعلم انه يخفي خلف قناعة الهادىء....نارا من القسوة قد تحرقني حرقا....وسبق ان احرقتني يوم هجرني...حتى تفحم قلبي وأصبح رمادا من البكاء...

- والله يا أحمد انت فاجئتني....وأنا بأمانة مش عارفه لسه ان كنت مستعدة للكلام ده سواء الزواج او الشراكة في العمل...خليني أفكر واشوف هأعمل إيه....

- إنتِ هاتفكري كمان.؟ لا بجد إنتِ تغيرتي اوي يا ليلى....اوي..

يومها غادر أحمد حزينا ...منكسرا...احسست بألمه...وانكساره..... ولكنه أبداً لم يكن كانكساري عندما هجرني لأخرى...أبداً لم يكن كألمي...

أفقت من شرودي على فكرة مؤلمة...هل عودتي لأحمد كانت حبا حقا...ام استردادا لكرامتي الضائعة التي سحقها بأنانيته البغيضة.... ام لاني أردت الانتقام منه على قتله لـ ليلى التي عشقته وانتظرته سنين طويله كي يحقق وعده بالزواج منها؟

يا إلهي...هل أصبحت مقيتة لهذه الدرجة؟

هل أنا بهذه البشاعة حقا؟

أحمد هل أحببتني قط ؟!!..ام انك أحببت نفسك من خلالي... من خلال حبي لك...وخوفي عليك..عشقي للحظاتنا التي تجمعني بك....ضعفي بك...فأنت كنت ولا زلت عشقي الكبير الأوحد..طفلي المدلل الذي لا أرفض له طلبا أبداً مهما كبر او صعب....ابني البكري الذي ولدت معه اول فرحتي ....زوجي الذي فض بكارتي...حتى وإن لم يجمعنا عقد زواج ...كان عقدنا وعقيدتنا هو الحب...وشهودنا كانت الجامعة بكل طلابها ومدرسيها....بيتنا..سريرنا الذي جمعنا الاف المرات.....كل الدنيا التي عشناها...كانت شاهدا على حبنا... وباركتها..وجئت انت...بكل أنانية الطفل بداخلك....كسرت لعبتك... وحطمت قلبي.....رميته وراء ظهرك..وهجرت بيتك...حضني...

لأخرى..اعطتك شيئا لم يكن باستطاعتي اعطاؤك اياه وقتها...ولكن... الآن أستطيع ان اعطيك أكثر منها بكثير جدا...ولكن...هل تستحق يا أحمد ان اشتري سعادتي معك بالمال...ان اشتري حبي لك وادفع ثمنه مالا وأمانا لم اعد احسه معك أبداً؟

نمت يومها ودموعي تبلل مخدتي....واشباح الماضي عادت لتبني اعشاشها فوق رأسي المرهق بكل قوة وشراسة....عادت لتؤرقني وتمنع عني النوم الهانىء.....لتأخذني معها إلى المجهول....

في غمرة احزاني طلبت عاصم هاتفيا...قصصت عليه ما دار بيني وبين أحمد...انصت لي حتى نهاية حديثي وفاجأني بجملة عجيبة لم تخطر لي على بال...

- ليلى إيه رايك ...ممكن نتعشى سوا الليلة....عندي صديقة كنت سبق ولمحت لك عنها هاجيبها معايا العشاء...وإنتِ تعزمي أحمد ...داليا بتشتغل في نفس مجال أحمد...ومحتاجة خبرة حد زيه في عملها الحالي...إيه رايك...تفتحي له شغل معاها...وبكدة مش هاتخسري ماديا او تحسي انه ممكن يستغلك في الحتة دي...يشتغل

ويثبت نفسه...ويبقى ساعتها حر قراره لو قلقك منه بسبب انه طمعان فيكي ماديا؟

- مش فاكرة داليا يا عاصم....مالها بقى؟

- أبداً هي عندها مؤسسة صحفية كبيرة...ومحتاجه حد في خبرة أحمد يديرها لان المدير الحالي مش كفء ....وكانت طلبت مني ارشح لها حد او اقترح عليها حد...وأحمد كان في بالي...بس استنيت لحد ما اشوف الوقت المناسب...هي صديقة ليا من اكتر من عشر سنين...وكنا دائماً بنتقابل لما بنزل مصر....ومرة جاتلي اسبانيا كضيفة... هاه...إيه رايك؟

- انت بتعمل الخدمة دي ليا ولا لأحمد ولا لداليا يا عاصم؟ وبعدين انت كنت رافض تماماً تقابل أحمد...إيه الي جد؟ داليا دي مجرد صديقة ولا....؟

- داليا اولا مجرد صديقة بحبها وبعتز بصداقتها جدا...بس هي على اي مستوى اخر أنا مش مناسب ليها ولا هي مناسبة ليا... كدة وصلك المعنى صح؟ وبعدين اقابل أحمد وسط مجموعة طالما المصلحة واحدة مش هايفرق غير ما اقابله على اساس اني اقيمه او أعمل معاه صداقة مقربة...الفرق كبير...وبعدين أنا عديت المرحلة الي كنت فيها سابقا...وبقيت اقدر اتعامل مع الموقف دلوقتي بالعقل ...فـ بالنسبة لي أنا كدة تمام....

- طيب سيبني أكلم أحمد....وأقوله وأكلمك تاني...

استغليت حجة داليا لاتصل بأحمد وابلغه الدعوة على العشاء.... وافق مرحبا جدا...واتفقنا على موعد العشاء على ان يكون في مطعم هادىء في ضواحي المعادي...يمر علي..ونتقابل جميعنا هناك...

استعددت للعشاء احسن استعداد..ارتديت ثوبا من الشيفون الابيض....مفتوح الصدر....يظهر انوثتي أكثر ووضعت ماكياجا هادئا مناسبا للون الثوب...رفعت شعري وانزلت بعض الخصلات على جبيني ..هكذا اقابل أحمد بعد طول غياب...امرأة كاملة ومتجددة الانوثة دائماً....

مر أحمد علي بسيارته واستقبلني كعادته بأن فتح لي باب السيارة كي اجلس جنبه...مع الكثير من الاطراء والمديح...واظهاره لعاطفته وشوقه لي...

- ليلى وحشتيني اوي...إنتِ متعرفيش أنا كنت تعبان اد إيه من غيابك عني... سبتك تقرري براحتك بدون تدخل مني...وإنتِ واحشاني..والنهاردة كان نفسي اخدك في حضني في وسط الشارع... بس احترمت المكان والزمان...بحبك اوي !

- وأنا بحبك اكتر يا أحمد....بحبك اكتر !

قبلني على خدي قبلة دافئة....وامسك يدي وقبلها برقة وعذوبة....

كعادته....كان أحمد ساحرا ....ويعلم كيف يؤثر بي سلبا وايجابا.. يالروعته ووسامته....

كان يلبس بدلة سوداء مقلمة بخيوط سوداء لامعة....قمة في الأناقة....ساعدته بنيته الجسدية القوية والجسد المفتول العضلات.... التي زادت من مظاهر رجولته وحيوته....

- انت النهاردة تري شيك يا أحمد....اختيارك للبدلة رائع ...

- دا إنتِ الي تري شيك يا حياتي....طول عمرك انيقة وتخطفي العين والقلب....من اول مره شفتك فيها....لحد دلوقتي...طول عمرك اميرتي...

دخلنا إلى المطعم متشابكي الايدي....تحفنا هالة من السحر والحب...كانت تظهر على وجوهنا ولغة جسدينا....اللذان كأنا يتحركان كأنهما جسد واحد....مع اختلاف الاعضاء....كأننا توأم ولد احدنا من اجل الآخر فقط...

عاصم ودواليا سبقونا إلى المطعم....الهادىء ذو الأنارة الخفيفة.... كان مطعما ذو طابع مصري صميم مشهور بأكلاته المصرية القديمة كالحمام المحشي والطواجن والمحمرات والمحاشي .... التي أصبحت صعبة الاعداد لسيدات البيوت العاملة....ينساب بين جنبات المكان صوت ام كلثوم وهي تشدو بصوتها الرخيم بعض اغانيها القديمة العريقة .....قدم لنا عاصم داليا بطريقته المهذبة الراقية.....

- مدام ليلى..أعرفك على مدام داليا....

- أهلاً ليلى... سمعت عنك كتير من عاصم....بس الحقيقة انك احلى بكتير من الي سمعته...اتشرفت بمعرفتك ...

- أهلاً داليا...ميرسي لذوقك يا عزيزتي...إنتِ الي جميلة واحلى بكتير مما توقعت...

كانت داليا امرأة فائرة الانوثة....تتمتع بشعر ناعم اشقر مع خصلة عريضة تتدلى على جبينها ينام فوق خديها المكتنزتين عينان خضراوتان واسعتان برموش طويلة سوداء....يتوسطهما انف اغريقي الملامح...اما فمها فكان ممتلئا بشدة...شفاه مرسومة بعناية.... منتفخة..تكشف عن اسنان بيضاء ناصعة...مرصوصة بعناية كانت ذات جمال نادر.....كانت بنيتها كإمرأة في سن ال 14 عشر من عمرها....صغيرة الحجم....كأنها طفلة تتفتح بواكير انوثتها على سن المراهقة.... ..Petiteالعود الفرنسي او ما يطلق عليها المرأة الـــ

لم اصدق انها في العقد الرابع من عمرها ...فهذا الجسد لم يمر عليه الزمن...ولم يتخط سن المراهقة أبداً....

بدأنا العشاء ببعض المقبلات....وانتظرنا قليلاً لنتحدث عن احوال العمل وتفاصيله..فاستهل عاصم الحديث قائلا.

- مدام داليا تملك مؤسسة «عيون» الصحفية الشهيرة...وبقالها فترة عايزة تطورها...وبتبحث عن رئيس تحرير مخضرم وفاهم لطبيعة

العمل...لان التوسعات الي عايزة تعملها...محتاجه لخبرة وعلاقات كتير...ولما قالتلي...اول حد جه على بالي انت يا أحمد....أتمنى يحصل بينكم تعاون...لانكم ممكن تعملوا شغل كويس جدا سوا...

لا أعلم لم اعتصر قلبي كلام عاصم...خفت...ارتعبت من فكرة « الشغل الكويس» التي ذكرها عاصم...فداليا امرأة متفجرة الانوثة... ولا أعلم مدى علاقتها بعاصم...هل هم فقط « اصدقاء» ام هناك امرا لا أعلمه....

وهل سوف ينجذب أحمد لجمالها....ويحاول ان يخلط العمل بالمتعة..كعهد الرجال...ام سوف يكون أكثر احترافا واحتراما للعمل... ولعلاقتنا سويا؟

وهل داليا من النساء المحنكات اللواتي لا يضعن فرصة كأحمد من ايديهن بغض النظر عن ارتباطه بأخرى ام لا؟ وبرغم انها كانت تخفي مشاعرها جيدا تحت رقة هذا الجمال الأخاذ ووداعة وبراءة عيناها الخضراوتان....الا ان حدس النساء أبداً لا يخطىء وحدسي كان ينذرني بأمر مؤلم قد يحدث قريبا.....فإن اردت ان تعرف حقيقة امرأة..عليك بإمرأة أخرى تعلمك ما تخفيه النساء ببواطن نفوسهن .....

افقت من شرودي على صوت أحمد وهو يناديني....طالبا مني أبداًء رأيي في الأمر...

لم اكن سمعت الحوار كاملا...فشرودي وأفكاري أخذتني بعيدا عن المكان...أخذتني حيث مرتع الخيانة التي تصورتها قادمة لا محالة..لا عن عدم ثقة بنفسي....انما عن عدم ثقة بأحمد .....الذي بت ارتعب من فكرة ان يفاجئني بخيانة أخرى قد تقتل ما تبقى من مشاعر بداخلي مدى الحياة ...

وكنت كمن تلتفُ حول أصابعها خيانة...وتلهو بها...شياطين الغيرة ..!

حاولت ان اعتذر عن اكمال العشاء بسبب صداع مفاجىء انتابني....مما جعل الجلسة متوترة تماماً..أحسست بتوتر أحمد على الأخص...وان كانت داليا أكثر براعة في اخفاء مشاعرها....وأبداًء التعاطف والمشاعر اللطيفة نحوي...فعرضت علي بعض المسكنات ...او الذهاب بي لطبيبها الخاص....ولكني رفضت بأدب ولطف.. وطلبت من أحمد ان يوصلني للمنزل....واعتذرت عن اكمال اللقاء...

ودعت عاصم بنظرة عتب ..حاولت ان اوصلها له بشكل خاص... وتوقعت من حركات عينه انه فهمها تماماً....وان كان حاول ان يخفي عني ما يدور برأسه....ولكنه يعلم تماماً ما سيكون رد فعلي غدا...عندما الملم شتات نفسي...مهلا عاصم..فسوف يكون الحساب

عسيرا....ان صدق حدسي !

كنت أعتقد اني هكذا افوت فرصة العمل بين أحمد ودواليا...او هكذا خُيل الي...ولم اكن أعلم...ان القرار كان قد اتخذ منهما معا... وأنا كنت...مجرد مكمل لدوري القديم بدون تأثيرات مستقبلية مهمة ...

******

داليا وعاصم

- انت مصدق الي عملته ليلى يا عاصم وتصنعها التعب فجأة؟
- مش هاصدق ليه يا داليا....ليلى شخصية محترمة مش شايف

سبب يخليها تتصنع المرض..

- لا بس إحساس الست مابيكدبش.....هي لما شافتني اتكهربت مرة واحدة...تقريبا انت كنت مديها فكرة مختلفه عني تماماً...

- بصي يا داليا....أنا ماديتهاش اي فكرة لا سلبا ولا ايجابا...كل مافي الأمر اني قلتلها انك صديقة عزيزة زي ماقلتلك عنها بالظبط.. وانك محتاجه حد بخبرة أحمد في العمل لا أكثر ولا اقل..

هم متجوزين ولا متصاحبين زينا؟؟

- قصدك أحمد وليلى...لا مش متصاحبين... مرتبطين بغرض الزواج لما تتحسن ظروف أحمد.

- اه...يعني هو ظروفه صعبة ومحتاج العمل ...تمام..

انشغل عاصم بتناول العشاء...وخيم الصمت على ماتبقى من الوقت مع داليا.....

انهت داليا وعاصم العشاء...أوصلها للمنزل..وصعدا معا ...كالعادة...!

كانت علاقة عاصم بداليا ممتدة لسنين طويلة مابين مد وجزر.... أحبته بجنون..وانتظرت ان يتقدم للزواج منها طيلة العلاقة التي امتدت لعشر سنوات..ولكنه أبداً لم يفعل !

كانت ملقاة على صدره ثائرة الشعر ..محمرة الاوداج....حين تسلل صوتها كقطة تعبت من موائها في حالات الشبق الموسمية.....

- انت عارف يا عاصم عمري ما ازهق منك...ولا بشبع...!

وهو يحيط خصرها بذراعيه ويشدها اليه بعنف.....
- ولا أنا كمان يا داليا..إنتِ عارفه معزتك عندي اد إيه ...

واغرقها في قبلة طويلة..معلنا انتهاء المعركة التي كانت تدور منذ قليل بينهما.....

- هي دي المشكلة...انت بتعزني ....بس أنا بحبك بجد... وطول عمري كنت مستنية اننا نبقى مع بعض رسمي...مش مجرد صحوبية وخلاص....انت اكتر واحد عارف الفرص الي بتجيلي ..بس عمري ماشفت حد غيرك ...ولا عوزت حد تاني غيرك انت...بس أنا ابتديت اتعب...محتاجة راجل يكمل الصورة الاجتماعية...عاصم...أنا محتاجة ابقى زوجة مش مجرد عشيقة...محتاجالك تبقى معايا قدام الناس...مش جنس وبس !

- داليا...من يوم ماعرفنا بعض وأنا مشدود لك...وبحبك ...بس عمري ما فكرت اننا نتجوز ...مع انك تستحقي احسن مني بكتير.. أنا عمري ما خدعتك ولا كدبت عليك ولا كانت معرفتي بك بدايتها وعود بالزواج....قلتلك من سنين طويلة...أنا مش بتجوز ...وإنتِ وافقت...بالعكس كنت راضية كمان...إيه الي حصل دلوقي؟ إيه الي اتغير؟

- الي اتغير....اني بكبر وأنا وحيدة..الي اتغير....اني بحبك !

عدلت من جلستها على حافة السرير..واشعلت سيجارة...ونفخت دخانها في وجه عاصم..وأخذت تقبله في عينيه قبلات كثيرة دافئة.. وهو مستسلم لها بخدر....

- مش بيقولوا بلاش تبوسني في عينيا البوسة في العين تفرّق ...سألها عاصم

- اه تقريبا كدة ! .....للاسف يا عاصم...النهاردة أنا فهمت سبب عدم طلبك للزواج مني...كنت مغفلة اني قعدت سنين بعشم نفسي بأنك في يوم هاتتجوزني ..مع العشرة...والتعود...وحبي لك... بس اكتشفت...انك في وادي تاني خالص....!

- يعني إيه مش فاهم يا داليا...مالك النهارده إنتِ مش في مودك العالي ليه وطبعك بقى حاد ؟

- أنا شفت في عينيك حبك لـ ليلى....كان واضح...وكرهك وغيرتك من أحمد..انت عارف قدرتي على قراءة العيون.... عيون الرجال... مابالك لما يكون الراجل ده انت ..عاصم الي حبيته عشر سنين.. عاشرته كزوجة..وعشيقة..وحبيبة..وعرفت كل حاجة عنه...فاكر لما كنت بقولك قلبك صندوق اسود...عمري ما عرفت ادخله واقرا الي فيه؟؟

النهارده بس قدرت افتحه واقراه الصندوق الاسود الي كنت بتخبي فيه اسرارك بعيد عني...لما شفت بصتك لـ ليلى...عرفت انت كنت مخبي عني إيه....!

- بتقولي إيه يا داليا...وإيه الي جاب سيرة ليلى دلوقتي تاني... إنتِ من ساعة ماشفتيها اتقلبت ليه كدة....مش فاهمك أبداً النهاردة... خالص...الاحسن اني امشي..واضح اننا مش هانوصل لحل مع غيرتك الي مش هاتخلص دي...

- لا استنى يا عاصم...! عندي كلمتين هأقولهم لك..وياريت ماتزعلش مني...اعذرني..انت عارف أنا ست صريحة ومباشرة... ومعنديش حاجة اتكسف منها أبداً....بعمل الي عايزاه وبقول الي عايزاه بدون وصاية من حد....

أنا حبيتك سنين طويلة...واستنيتك كتير واديتك فرص ياما وعمري ما قلتلك نتجوز أبداً...كنت مستنياك انت الي تقولها وتطلبها مني.... حتى لما كنت مسافر في الخارج في وظيفتك كنت بجيلك على طول.... عمري ما قدرت ابعد عنك فترة طويلة....ومع اني كنت دايما بقرر اسيبك....واشوف الي بيترموا تحت رجلي والي عايزين لي الرضا عشان ارضى.. ماقدرتش أنا مش شايفه غيرك انت بس.... ...مش عشان انت اجمل راجل في الدنيا...ولا عشان احن راجل ولا عشان توافقنا في الطباع في الجنس...كل دي اسباب مخلياني لحد دلوقتي بحبك

وعايزة نستمر مع بعض....بس موش بالشكل السابق....

أنا محتاجة راجل ..يبقى معايا على طول...يشيل عني حتى جزء من شغلي ...ويبقى واجهة للمجتمع ...زوج أظهر بيه ....واتعايق قدام الناس...انت عمرك ما هاتعمل كدة...أنا فهمت ده النهاردة... وعشان كدة...أنا بقولك ان دي اخر مرة هانتقابل فيها كعشيقين.... أنا هاسيبك كحبيب....وأتمنى الاحتفاظ بيك كصديق عمر...انت انسان عمري ما أحب اخسرك...ولا اخسر وجودك في حياتي أبداً.... بس متزعلش لو عرفت اني هارتبط بحد تاني....وقبل ما تفكيرك يروح بعيد.....لحد دلوقتي مافيش حد تاني...بس الموضوع ده مش هايطول كتير...أنا خلاص قررت اني هاشوف اكتر حد مناسب في الموجودين وهارتبط !

علم عاصم في قرارة نفسه ما ترمي اليه داليا في كلامها ....فهم تماماً انها وجدت ضالتها في أحمد...فلم يعلم ان كان هذا الأمر اراحه....ام اهانه....كل ما كان يدور في رأسه وهو عائد لمنزله...شعوره بالحرية... من عبء إحساسه بالذنب ناحية داليا...برغم انه أبداً لم يعطها الأمل يوما في الزواج !

لم أكن يوماً رجلاً للمغامرات العابرة. ولا كان يروق لي النوم في ملاءات المصادفة. ولكن داليا كانت تعنيني ، فقد أكون تعلقت بها لحظة شرود عاطفي .. فى الحقيقة كانت عندى ذرائع جميلة تعفيني من الإحساس بالذنب , بعد أن استسلمت لعروضها المواربة... في الواقع لم يكن لي مفر من تلك النوايا الخبيثة لأسئلة بريئة , تطرحها عليك امرأة تضمر لك متعة شاهقة.. أو هكذا تستنتج من كلامها. داليا فتحت بجملة واحدة .. بوابة الشهوات, وتركتني مذهولاً .. لا أدرى كيف أوقف سيل الحمم الحارقة...

يالي من رجل أناني..فأنا طوال السنين الماضية لم أحب داليا بالقدر الذي يجعلني أتمنى الارتباط بها أبداً...فهي امرأة قوية الشخصية عنيدة برغم حنانها وحبها لي...لم يكن لي عليها سلطان فيما يختص بالعقل أبداً....وأنا كرجل أحب السيطرة مهما حاولت ان اخبىء هذا الشعور بعيدا عن البشر الا انني في النهاية أحب ان انصح امرأتي وتنصت لي وتنفذ رغباتي...أنا كأي رجل شرقي...أحب المرأة في خضوعها...وداليا لم ولن تكون خاضعة لي أبداً... ... وغالبا هذا سبب الفجوة العاطفية التي احسست بها ناحية داليا طوال فترة علاقتي بها....

تمنى لها الخير والسعادة....ان تسعد بحياتها..وان كان على حساب ليلى او حسابه هو شخصيا....في النهاية...هو لن يرتبط الا بـ ليلى..ان

وافقت عليه....هي حلم العمر فقط...اما داليا..فكانت مجرد محطة راحة....واحة وارفرة المشاعر...عاش فيها فترة من عمره...استراح فيها مؤقتا من عناء البحث عن امرأة يستكين اليها ويفرغ طاقته الجنسية والعاطفية فيها بدون وعود او التزامات غير صادقة من وجهة نظره !

داليا وبرغم انها امرأة مثيرة ثرية وناجحة اجتماعيا الا انها في النهاية امرأة ينعش انوثتها ويحي جسدها الذي قارب على الذبول لولا جراح التجميل البارع في اخفاء معالم الزمن عنه...داليا امرأة تحتاج لأحمد فعلا....كانت هذه الخاطرة كفيلة بأن تجعل عاصم... يحس بالاطمئنان.....والأمل المتجدد في الارتباط بـ ليلى والخلاص من شبح أحمد المقيت.....و طالما داليا قررت هذا..فهي لن تترك أحمد لأخرى....أبداً !

نامت داليا ليلتها وهي حزينة...مكسورة القلب...لا تعلم ان كان قرارها هو القرار الصحيح وان كانت ستثبت عليه للنهاية...فهي انتظرت عاصم سنين طويلة جدا..كي يصارحها برغبته بالارتباط... ولكنه لم يحدث...ولن يحدث...من ردود افعاله طوال الفترة التي مضت علمت انه لن يطلبها للزواج...أبداً

هي بحاجة لرجل يملأ فراشها بالدفء...ويعمر قلبها بالحب... وينهل من حنانيها وأنوثتها التي قاربت على الافول....فهي وان كانت ظاهريا صارخة الجمال... الا انها تعلم بينها وبين قرارة نفسها...ان الوقت يمر سلبا ضدها....ويجب عليها ان تختار رجلا يكمل معه حياتها...حتى وان كان مرتبطا بإمرأة أخرى ....وطالما الامر عقلانيا وليس عاطفيا.....فلا مجال للتفكير بالعواطف .....ففي عالم البزنس والثراء الفاحش... لكل انسان ثمن مهما كان غاليا...وهي تستطيع ان تدفع الثمن دائماً ...ومضاعفا ايضا....!

ولكن منذ متى كان للعقل على القلب سلطان...ها هي تقرر اخيرا ان تهمل قلبها ان تخرس صوت القلب وتستمع لصوت العقل..... ان تصحر حياتها من العاطفة..وتبحث عن العقل والمصلحة..تماماً كما فعل عاصم...فهو وان أحبها كما يقول..لم يكن سوى حب أناني... يرضي رغباته ونزواته كرجل ناجح تتهافت عليه النساء الجميلات... ولكن قلبه لم ولن يكون لها...مهما حاولت...لن تستطيع ان تدخل صندوقه الاسود هذا أبداً....

وهي عندما استمعت اخيرا لصوت العقل....علمت أنها وجدت ضالتها في أحمد....فنظراته لم تكن لتخطؤها أبداً...قرأت ما يدور برأسه..وقرأ ما يدور برأسها...فهي ان كانت تتقن امرا ما بجدارة... فهو قراءة عيون الرجال ومايدور برأسهم.... خبرة قضت سنين عمرها

تمارسها وتتدرب عليها....

بعد العشاء....

اوصلني أحمد للمنزل...صعد معي..اعطاني مسكنا للصداع... وتمنى لي ليلة هانئة...على وعد ان يطمئن علي في الغد...هكذا كان ترتيب تصرفاته... يؤدي دوره على اكمل وجه...بدون اشراك مشاعره في الامر...عذرته...فأنا لم اتقن دوري تماماً...هو فهم اني اعترض على وجود داليا في حياتنا...حتى وان كان تعارفهما بادرة ممتازة له في عمله.....كان في اشد الحاجة له ....لإستكمال مستقبله العملي...وأنا كنت ممثلة فاشلة تماماً...في اصطناع الموقف...

بعد أخذ المسكن..الحقته بمنوم كي أنام بلا احلام او كوابيس... وحتى لا اضطر لرؤية خيالاتي المريضة تأخذني مرة أخرى إلى عالم الشك القاتل ....إلى عالم الشك المؤلم....إلى المجهول...

كنت يوما ما .. أجمل احلامي وأنا اشدد على «كنت» والان - حتى اجمل احلامي بك - اشعر بها ككوابيس تخنقني ، وتقبض على انفاسي.. كم أتمنى ان انتزعك مني وبقوة ..

كم أتمنى ان اكرهك.....كم...وكم...وكم

رأيت أحمد يقف على ضفة نهر...وأنا على ضفته الأخرى... بعيدا...أريد اللحاق به...ولا أعلم كيف...كان عاصم بجانبي...محاولا ان يمسك يدي....بعيدا عن النهر...وأنا كنت اركض منه..أريد الخوض في النهر...والذهاب لأحمد....حتى وان كان الغرق مصيري.....وعندما نزلت الماء....رأيت داليا...تقف بجانب أحمد...عند الضفة الأخرى من النهر.. يتضاحكان...يمسكان ايدي بعضهما البعض...وينظران نحوي... ببرود.....وأنا ...كنت ابكي...واصرخ...ولا يسمعاني..او لا يريدان سماعي...الوحيد الذي كان يسمعني هو عاصم...محاولا العوم في النهر لانقاذي..صارخا بي ان انتظره....ان لا استسلم للتيار.....عندما اختفى أحمد وداليا من المشهد....عندها فقط...قررت ان اترك رئتي المسكينة للماء يحتلها...للغرق يغتالها....بلا مقاومة....

صحوت مفزوعة وأنا اجاهد استنشاق الهواء لادخاله رئتي...كان عاصيا...وكنت اكاد اختنق من الخوف...حتى تأكدت انه كان كابوسا

وليس واقعا ما رأيته منذ قليل..هدأت قليلاً..وقمت متثاقلة تجرني الخيبة جرا إلى الهاتف لاحادث عاصم..او لاحقق معه بشأن ما حدث بالامس...فلم اكن أبداً لاظن بأن امرأة كـ داليا ان ارادت شريكا لها.. سيكون بالامر الصعب بل العكس صحيحا...من المؤكد انه هناك امر خفي وراء عاصم وداليا...

طلبت من عاصم الحضور لزيارتي...باقتضاب...وهو حاول التهرب..ولكني لم اعطه الفرصه للهروب مني....فوافق على مضض !

لم اغير ملابسي.....كنت البس بيجاما كحلية كلون مزاجي المتعكر....شعري مشدود ككعكة فوق راسي التعبة....كنت كأنني آتية من معركة خاسرة....بلا حماس...ولا ابتسامة...ولا روح...

ياإلهي كيف تكون الغيرة مرّة على المحبين....فأنا اعترف بيني وبين نفسي بأن غيرتي على أحمد فاقت قدرتي على اخفاء مشاعري في المواقف والظروف الصعبة...اعترف بأن حب أحمد كبلني...وكبل قدرتي على المقاومة..فلم اعد أنا من كنت سابقا..ولم يعد أحمد ايضا كما كان... ماذا أقول له .. وقد حشر خذلانه في حلقي .. كل

الكلمات ..؟؟ كنا كغريبان...يتعلقان ببعضهما البعض...لان شيئا ما يربطهما....شيئا مشروخا...محطما بسبب قسوة الأنانية المطلقة...من طرف اعتدى على مشاعر الاخر...وتركه مضرجا بدمائه...بلا رحمة... وكنت أنا المضرجة بدمائي...وكان أحمد ...قاتلي الوسيم...

حضر عاصم....يرسم الجدية على وجهه متوقعا الاسوأ مني ...ليس لاني اعطيته هذا الايحاء....ولكن لأنه كان يعلم تماماً...ما تخفيه نفسي ...وما يدور برأسي من أفكار سوداء....

- قل لي يا عاصم...مين داليا دي....وليه ما ارتبطتوش...شكلها جميل واجمل مما تخيلت....؟

كان سؤالي مباغتا وأنا اقدم له فنجان قهوته المظبوط...

- داليا زي ماقلتلك صديقة قريبة....حاولنا اننا نرتبط...بس زي ماتقولي..ماحصلش نصيب...واتفقنا اننا نفضل اصدقاء....لانها شخصية جميلة...ومحبيناش اننا نخسر بعض على المستوى الانساني...

صمتي كان علامة غير لطيفة لعاصم...فلم اعقّب على كلامه بحرف..ظللت صامتة فترة ليست بقصيرة....وظل هو يتلهى بإرتشاف فنجانه المظبوط....راسما اللامبالاة على وجهه...

- قوليلي يا ليلى...إنتِ بجد كنتي مصدعة مبارح...ولا فيه حاجة تانية ؟

- بصراحة يا عاصم....أنا صدعت فعلا...بس طبعا انت بالذات مقدرش اخبي عليك ,أنا اتضايقت من جمال داليا...وحسيت باهتمام أحمد بيها...وبالطبع حسيت انها مهتمة بيه كمان...انت مقلتلهاش اننا مرتبطين ببعض؟

-أأ بصراحة...لا بس هي فهمت...سألتني وقلتلها انكم مرتبطين... وهي حبت فكرة التعاون مع أحمد لانها ست عملية...وعايزة تنجّح مؤسستها بغض النظر عن اي حاجة...

- يعني إيه بغض النظر عن اي حاجة..... جملتك غريبة شوية؟

- اقصد ان أحمد وسيم طبعا...بس هي جايه عشان الشغل... وهي ست بتعرف تشتغل وبتحترم الاصول...وبالاساس تعارفهما كان لشغل...مش لاي حاجة تانية...مايروحش فكرك بعيد أبداً...بعدين.... ماتخافيش...أحمد لو عايز يخونك...مش هايستنى داليا...او غيرها... وماظنش أحمد بيفكر الا بالشغل...بطلي بس إنتِ هلاوس...وغيرة ستات...

بعد جملة عاصم الاخيرة...احسست بغصة في قلبي...لو أحمد عايز يخوني؟

لم افصح لعاصم عن شكي فيه شخصيا....فشكوكي تخبرني بأن عاصم يطبخ طبخة لا أعلم مكوناتها بعد...ولكني احسست بعدم الثقة

في عاصم لاول مرة في حياتي منذ عرفته...لا أدرى لماذا...احسست بأنه هو المدبر...او من يدير اللعبة...ولكن ضدي أنا هذه المرة.... لاول مرة احسست بالوحدة...والخوف...أحسست بالبرد يلتحفني.... ولسعة الصقيع تحيط روحي.....فها أنا وحيدة...في معركتي التي سوف اخوضها...لوحدي هذه المرة....بلا عتاد...ستكون شرسة.. وشرسة جدا....وبرغم اني اكره المعارك...واؤثر السلام..الا اني لا انوي مطلقا التخلي عن أحمد هذه المرة...ولن اسلمه لأخرى بيدي....لن يحدث هذا أبداً...على جثتي....!

بعد لقاء عاصم الغير مريح.....انتظرت حتى حادثني أحمد للاطمئنان علي صحتي من صداع الامس..وطلبت منه المجيء لامر مهم.....

- حبيبتي إزيّك النهاردة...مبارح قلقت عليكي اوي...عامله إيه النهارده...شكلك منورة...وزي القمر....هو الصداع بيحلّي كدة؟

بالطبع لم اقل له بأني تزينت خصيصا للقاءه...وان كان يعلم تماماً اني افعل هذا دائماً....ولكني هذه المرة...تزينت بشكل خاص... تفننت في زينتي...فأصبحت اشبه ممثلات السينما في حفلات تقديم الاوسكار.... لبست فستانا من الحرير الأحمر ...واسدلت خصلات

شعري على وجهي ...مع وضع احمر شفاه قاني الحمرة...يبيّن جمال شفتي الممتلئتان.....

- الحمدلله يا حبيبي..احسن بكتير....وحشتني اوي !

بادرته بالهجوم العاطفي..كي اسقط حصون اللامبالاة التي احسستها بصوته..وازيح استار البرود الذي يحيط بعلاقاتنا منذ فترة...فادخلت راسي بين كتفيه....كقطة تموء طلبا لاهتمام سيدها.... تتمسح به كي تمتزج الروائح وتصبح عطرا تصنعه العاطفة المشبوبه .....

- وإنتِ كمان وحشتيني اوي يا ليلى...اوي....

امسك بذقني الصغيرة... ومال برأسه إلى الأمام..قبلني على شفتي قبلة طويلة حارة...

اعتصر بها شفتاي اعتصارا ....وبادلته القبلة....بقبلات محمومة كثيرة....كثيراً..

غرقنا في لذة الاحضان والقبل..ذاب الجليد بيننا حتى أصبحنا كجسد واحد....يعيش في اسفل بركان الشهوة المحمومة.....وفزنا بمتعة اللقاء المحموم...هكذا أردت للمشهد ان يكون....وقد كان.. قبل ان أبدأ بتنفيذ خطتي...افقده قوته واعصابه.....واغتصب منه ارادته..قبل العرض الذي انوي ان اعرضه عليه...خططت لهذا المشهد تماماً وباقتدار شديد....!

بعد معركة عاطفية عاصفة....اعتدلت في مكاني....اخذت بعض

قطرات العصير...ورويت أحمد من شفتاي بعصير الرمّان المثلج...!

- أحمد...أنا موافقة اننا نتجوز...

- أخيرا يا ليلى....وافقتي...طيب ليه كل الوقت الي فات ده كنتي بتأجلي القرار ده...وإيه الي حصل خلاكي توافقي النهارده بالتحديد؟

- أبداً...كنت بفكر...ولقيت اني مش هاقدر أعيش من غيرك.... مش رح أحب اني اقضي حياتي الباقية بدونك...وبدون وجودك في حياتي...أنا مبقتش اقدر أعيش لوحدي ....

- حياتي إنتِ...أنا مبسوط اوي...وكنت مستني ولو اني حسيت بخيبة امل انك ماوافقتيش على طول...حسيت انك مش مبسوطة... بتحكمي عقلك...موش القلب..موش عارف ...بس كنت بديكي العذر...انك مثلا كنتي خايفة من الارتباط...خايفة مني ...بسبب الي حصل قبل كدة...كنت بحاول الاقي مبرر مايخلينيش ازعل منك... وعشان كده أنا دلوقتي اسعد انسان في الدنيا...انك قررتي بنفسك بدون ضغط مني...او تحت اي ضغط اخر...!

كلام أحمد كان ملتويا..فهاهو يلمح لما حدث بالامس..دون ان يذكر اسم داليا..ذكاؤه كان أكثر ما اعجبني به لاول مرة قابلته....فلم

الآن يضايقني هذا الذكاء ؟ هل لانه يصب في مصلحته فقط ام لاني احسست بأنه يخطط لأمر آخر ؟

- معاك حق...كان لازم أفكر بدون اي ضغوطات....عشان أكون اخدت قراري بكامل ارادتي....موش تحت ضغط عاطفتي ناحيتك وبس..وفكرت كمان في الشغل الي ممكن يكون بينا..إيه رايك..نفتح دار نشر....او جريدة...

- بس الجريدة محتاجه سيولة كبيره يا ليلى...وأنا ممعيش المبلغ ده...

- ولا يهمك...أنا معايا !

- يعني إنتِ معاك مبلغ يكفي فتح جريدة يومية...وقادرة تكلفيها كلها من الالف للياء يا ليلى؟ ولا تقصدي ها ناخد قروض من البنك بضمان الجريدة؟

- اه يا أحمد معايا...أنا ورثت ثروة كبيرة من المرحوم جوزي.. تكفي اني افتح جريدة....وتبقى من اهم الجرائد الكبيرة في البلد كمان ..وانت بشطارتك تجيب محررين اكفاء وتديرها صح.....

اعتدل أحمد في جلسته....نظر لي باستغراب شديد..وكانه يراني لاول مرة في حياته....فاغرا فاهه....وبوادر تكشيرة تكاد تولد على

وجه الوسيم.....

- وإنتِ عايزاني اشتغل عندك؟ ولا إيه مش فاهم...ابقى جوز الست ؟

- اخص عليك يا أحمد...أنا كنت بفكر انك تبقى شريكي بنسبة معينة....

- بنسبة معينة مش فاهم....

- يعني هايبقى لك نسبة نقول مثلا 30 % في الجريدة وتبقى رئيس التحرير...مع راتب كبير ووضع أدبي مناسب ....

- اه..فهمت...جوز الست برضو....تمام تمام..تصدقي عمري ما تخيلت انك ثرية؟ او معاكي ملايين...كنت فاكرك زيي...بتعتمدي على راتب معين ..وبس...عمرك ماجبتيلي سيرة الميراث ده...موش فاهم حاجة...أنا موش فاهم اي حاجة....!

- موش فاهم إيه يا أحمد...إيه علاقة الفلوس بينّا؟ أنا بحبك وانت بتحبني...اتقابلنا بعد سنين طويلة...كل حاجة كانت اتغيرت... اجيبلك سيرة فلوس او غيره هاتفرق إيه في علاقتنا مع بعض؟

- أنا حكيت لك كل حاجة يا ليلى تخصني...كل حاجة...ده حتى دخلي إنتِ عارفاه...وديوني...ديوني الي كنت بحاول اني اسددها... وواقع في مشاكل مع البنوك بسببها...وعمرك...ما فكرتي تساعديني.. وإنتِ عارفه انك لو ساعدتيني كان هايبقى دين برقابتي...بس الغريب انك وقفتي تتفرجي علي...بدون ما اصعب عليكي...بتتفرجي

على حبيبك بيغرق....والشط والحبل في ايدك على الشط ما فكرتيش ترميه لي...كانك غريبة.....موش شايفاه غريب شويه الموضوع ده... دلوقتي إيه الي خلاك تغيري رأيك...وتقرري انك تنقذيني؟ موضوع داليا.؟ اني ممكن اشتغل معاها وانجح بدونك..او انك خايفة من اني اخونك واتجوزها لانها ثرية..فبتحاولي تغريني لك وتشديني بحاجة اقوى من الحب في نظرك؟

- ياااااااااااه يا ليلى...اتاخرتي كتير اوي...أنا لو ماشتغلتش مع داليا او غيرها...مش هاقبل مساعدتك دي...ولو مكنتيش قلتيلي انك ثرية...كنت هابقى اسعد انسان في الدنيا اني اخيرا هايجمعنا بيت واحد وسقف واحد وتبقى مراتي الي طول عمري بحبها.....بس دلوقتي...فيه حاجة بينا إنتِ كسرتيها...كانك بترديلي القلم تاني...بس بطريقة تانية خالص اقوى...واشد قسوة....أنا لازم امشي....!

صدمني أحمد بردة فعله المبالغ فيها....ام انه لم يكن مبالغا!

لا أدرى....جلست طويلا مع نفسي....احترق مع سجائري....إلى ان امتلأت المنفضة بأعقاب السجائر..وامتلأ صدري بنارها.. هل كنت فعلا أنانية مع أحمد لهذه الدرجة البغيضة التي صورها لي؟ كيف لم انتبه لانه كان فعلا متعسرا ماليا ويحتاج لمساعدتي...او اني انتبهت فآثرت الهروب مما ظننته استغلالا لي؟ لا أعلم...ولكني

حاولت ان أعيش في جلباب أحمد قليلاً..كي افهم مشاعره بشأن ماحدث....وجدت اني لست مسؤولة عن خساراته المالية...او عن قناعاته بخصوص مساعدتي له المادية...وان كنت بشكل ما..مسؤولة عن استمرار وجوده في حياتي بشكل يرضينا أنا وهو..وان كان ثمن هذا الوجود المال..فليكن اذن....كان يجب علي مساعدته...وعدم الاستماع لنصيحة عاصم بالامتناع او اخفاء ما املك من ثروة...قد تكون طائلة في نظر أحمد...وهي بالفعل كذلك...وان كنت أعلم انها لن تشتري سعادتي أبداً ...!

مر اسبوع...بعد اللقاء العاصف بأحمد...كنت خلاله اتصل بأحمد كثيراً..الا انه لم يكن يجيب على الهاتف..اختفى وكأنه لم يكن يوما....

ذهبت لمكان عمله...لم استدل عليه...فكل الاجابات كانت سلبية....وكل هواتفه مغلقة..وكل الاماكن غير عامرة بعطره....حتى منزله القديم بالمنيل...الذي يعيش فيه مع والدته واخته المريضة... ذهبت اليه...وسألت بواب عمارته..وبرغم اني اجزلت له العطاء الا انه لم يجيبني بما يروي فضولي....فأحمد سافر إلى جهة مجهولة....غير معلومة لأقرب الناس إليه....يا لوجعي !

داليا و...أحمد

ظلت داليا تتأرجح مابين ان تبدأ بالتواصل مع أحمد وكيف تطرح فكرتها مع انها تعلم انه ينتظر مكالمتها على أحر من الجمر...تعلم هذا يقينا..وبعد انقطاع علاقتها العاطفية بعاصم...ازادات فكرة التواصل مع أحمد...خصوصا انها كانت غاضبة جدا من عاصم...لانه لم يستطع ان يخفي عاطفته لليلى...لذا عقدت العزم على الاتصال بأحمد والاتفاق معه على لقاء عمل يجمعهما لبحث كيفية التواصل من اجل بدء العمل معها...

اتفقا على لقاء في مكتبها الخاص....وفي اليوم التالي..حضر أحمد في الموعد المحدد...مهندم..يلبس بدلة رمادية مع ربطة عنق زرقا...كان قمة في الأناقة...اما هي...فاستعدت للقاء بقميص من الحرير الأحمر مع بنطال من الحرير بلون البيج العاجي....فكانت تضج بأنوثة وجمال لاتخطئهما العين...

جلسا يتكلمان فيما تحتاجه منه للعمل في مؤسستها...عرضت عليه منصب نائب رئيس المؤسسة ..اي الرجل الثاني بعدها هي كصاحبة المؤسسة..

- بص يا أحمد أنا انسانة عملية...وبعرض عليك العمل معي... مش عندي...وفيه فرق كبير في العرض ده أتمنى انك تفهم المغزى من وراه كويس....وكمان نسبة مالية بتحددها اخر السنة من الارباح.... مع راتب كبير جدا ومنصب ادبي رفيع...ومتأكدة انك هاتعمل

تغيير كبير في العمل...وأنا حا اسيب لك الادارة في الخطوط الصغيرة.. اما القرارات الكبيرة...فيجب انك ترجع لي فيها قبل التنفيذ...غير كده معنديش اي طلبات تانيه منك غير التفرغ التام...يعني اي وقت بيحتاجك العمل...مش عايزه عطلة او اعذار..تقريبا هاتبقى مشغول ال 24 ساعة..المنصب بتاعك ده محتاج كدة مش أنا الي بقول وهاتعرف ده مع بداية العمل.....عايزة اشوف أبداعاتك وشغلك ...

- اوكي أنا موافق ....بس عايزاني أبداً من امتى....ينفع أأجل استلامي العمل لمدة اسبوعين مثلا لظروف خاصة؟

- لا هو اسبوع واحد كفاية تكون رتبت فيه نفسك وسبت شغلك القديم واستلمت هنا...لاني في المكتب هاديهم فكرة من دلوقتي.. وهاطلب منهم تجهيز مكتبك الي هايبقى فيه باب مشترك بيني وبينك فيه...والدخول عندك هايبقى من خلال السكرتيرة المشتركة بينا....يعني هاتبقى تحت اشرافي لحد ما تفهم كل الشغل...

- اوكي خلاص اسبوع أكون سلمت فيه كل متعلقاتي في الشغل والحاجات المترتبة عليا...واجي استلم...موافق...على خيرة الله..

- كمان فيه امر مهم جدا يا أحمد عايزاك تفهمه كويس...أنا

ست مش بخلط العمل بالأمور الشخصية..يعني عايزاك تتفرغ كمان نفسيا للعمل....وحسب علمي انت مطلق ومش مرتبط وده شيء عظيم..عشان مفيش اي حاجة تعطلك عن العمل...الي هايستهلكك تماماً...عشان بعد كدة ماتقولش اني مقلتلكش....او فهمتك ...

- لا تمام أنا مش مرتبط بأي حاجة دلوقتي...وهاتفرغ تماماً للعمل الجديد...واوعدك اني هاوريكي شغل محصلش...بس حبة حبة لحد ما افهم كل حاجة واربط الامور ببعضها...اسبوع واحد وهاتلاقي الشغل كله ماشي زي الساعة....

ثم فاجأته بسؤال مباغت....

- ازي ليلى دلوقتي..

ومعلش اسفه للتدخل...مش انت وليلى كنتوا مرتبطين؟

اعتدل أحمد في كرسيه...وتظاهر بشرب باقي فنجان قهوته... وبصوت متحشرج اجابها...

- اه الحقيقة أنا أعرف ليلى من ايام الدراسة...صديقة عزيزة... وكان فيه مشروع ارتباط...بس محصلش...لاسباب كتير مش هاينفع أذكرها...بس هي صديقة عزيزة دلوقتي مش اكتر...!

يا لكذبك يا أحمد...هل نسيت ايامك ولياليك الساخنة مع ليلى هكذا في لمح البصر... ... يبدو الرجل كالزواحف .. يتخلّص من جلده و من ماضيه دون عناء . وحدها المرأة .. تعيش مزدحمة بكراكيب الذاكرة ..!!

هل ستكرر ما فعلته معها اول مرة عندما هجرتها وهي كانت كاملة الايمان والثقة بك وكنت انت اول رجل يلمسها ويفقدها براءتها....يا لك من وغد....هكذا كانت نفس أحمد تحدثه...الا انه نفض راسه من كل الأفكار التي قد تجعله يخسر فرصة العمل مع داليا...ومن يدري..لعلها تكون ايضا تقرأ أفكاره...وتكون فرصته معها أكثر من العمل.....لعله يتربع يوما ما على عرش هذه الامبراطورية الكبيرة التي تملكها داليا...لم لا...فهي امرأة وحيدة برغم ثرائها وجمالها ...ومن المؤكد انها تحتاج لرجل يدير معها امبراطوريتها المترامية ولكن ما قرأته انها تحتاج لدفء رجل يغريها في التمتع بأنوثتها وجمالها...ويعطيها ما تفتقده من مشاعر وعاطفة..وبالتأكيد الجنس.. .والا ما الذي اغراها في الاساس في التعامل معي وان كنت فشلت في ادارة أعمالي الخاصة وأفلست؟لاني سعيت وراء النساء دوما وتركت مشاكل العمل للموظفين البائسين.....فأنا بالفعل اكتشفت مع السنين اني املك ثروة من الوسامة والرجولة التي تكاد تضج من البنطال...حتى تكاد تشتم رائحة انوثتها التي تضج بها ملابسها..

كنت هذه الفكرة كفيلة برسم ابتسامة اغواء على وجه أحمد... لقطتها رادارات انوثة داليا المحنكة...وبدأت في تغيير نبرة صوتها.. فتحولت من سيدة أعمال..إلى قطة تموء....في ليلة اكتمل فيه القمر....!

- افهم من كدة انكم مش مرتبطين دلوقتي...اعذرني على سؤالي ده بس أنا زي ماقلتلك عايزه حد متفرغ للعمل في البداية عشان مايضيعش طاقته على امور تانية..وده سبب اختياري للعمل معاك... في الاساس انك متفرغ...وبدون ذيول!

بالطبع كانت كاذبه ونبرة صوتها انخفضت وهي تنطق اخر جملة.... فإغواء الرجل هو .. وضع الأنثى العسل على أطراف مخالبها ..!! كانت تكسو نبرة صوتها بإغراء لذيذ...صوت كفحيح الافعى... يأسر اي رجل...كامل الرجولة...في حضرة امرأة يشتهيها كل الرجال...

- يبقى اتفقنا...أنا مستنياك كمان اسبوع....ومكتبك هايجهز من بكرة...اي وقت تخلص فيه امورك ومتعلقاتك القديمة...تيجي تستلم...وفي الوقت ده...لو احتجت تستفتهم عن اي امر...كلمني.. في اي وقت...أنا بابي مفتوح لك تماماً...

بعد اخر جملة من داليا...أيقن أحمد انها وقعت في شرك رجولته.. ووسامته إلى ابعد حد...فقام من مكانه يستأذن بالانصراف...

بعدها تتالت المشاهد بين أحمد ودواليا...فتارة يحادثها ليسألها عن شأن ما...وتارة تحادثه لكي تتطمئن على اموره وتستعجله الحضور لمكتبه الذي أصبح جاهزا لاستقباله....حتى...استلم العمل... وأصبح يراها صباحا...ومساءا....حيث فاجأته بعمل احتفال ضخم لتقديمه الى جميع الموظفين في المؤسسة في فندق 7 نجوم...كانت حفلة باذخة بحق...

فيها كل انواع الخمور والمأكولات الشهية...واجتمع فيها ايضا كبار رجالات الأعمال في جميع القطاعات....يومها أحس بالزهو.... وبالانتصار على كل خساراته في الحياة...أحس بأنه بدأ اول السلم الصحيح لعالم المجد والشهرة...والمال...ودواليا....

بعد انتهاء السهرة...طلبت منه ايصالها للمنزل...كانت تترنح من فرط الشرب....ونظرات عينيها توحي بشهوتها الجامحة له....فلم يضيع الفرصة أبداً....أوصلها للمنزل..وصعد معها حتى لا تقع من فرط السكر....وبدأ معها فصلا جديدا من فصول اللهو والعبث... والشهوة .....

كانت داليا امرأة شبقة ذات شهية دائمة للجنس...لا تكل ولا تمل...كانت تهاتفه في اي وقت..ليلا او نهارا...تطلبه للحضور حالا في التو واللحظة...

لم يتوانى أحمد ابدا عن تلبية رغباتها المجنونه والطائشة....احمد الذي اصبح عبدا مسخرا لمتعتها..كان يعلم انها تنهل من شبابه...كي تزداد نضارة وشبابا..

اكتشف انها من النساء اللاتي لا يعرفن معنى الحياء في اي زمان ومكان...تطلبه كي يلبي رغباتها...امام الخدم والموظفين....كانت امرأة متسلطة بحق...

اما في لحظات الهدوء النادر الذي كان يفصل بين معركتين عاصفتين بينه وبين داليا عندما كانت تستكين للنوم شبه فاقدة الحياة لساعات طويلة كي تسترد طاقتها ونشاطها مرة اخرى قبل ان تصحو لتبدأ معه فصلا جديدا من فصول المتعة ....

كان يجلس يفكر بليلى...ليلى التي أحبته وأخلصت له ...وكانت دائمة الاستعداد لترك أي شيء من أجله هو فقط....اما داليا فكانت سيدة اعمال من الطراز الرفيع...علاقتها بأحمد كانت صفقة مكسبة

لها وله...هو يأخذ المال والمناصب والشهرة..وهي تتمتع بفحولته..... فلينهل من اموالها...ولتنهل من رجولته...حتى تشبع او يدخل الملل بينهما وينتهي الغرض من الصفقة .!

ليلى و....

لم يعد عاصم يهاتفني كالسابق....كانت تمر اياما طويلة قبل ان أسمع صوته...حتى حديثه أصبح مقتضبا....كأنه يخفي عني امرا ما...

حتى باغتّه بسؤال مفاجىء ...

- اخبار داليا إيه؟

- كويسة داليا بقالي فترة مسمعتش اخبارها...بتسألي ليه؟

- أبداً..سؤال عابر يا عاصم....مجرد سؤال

- تمام لما نتكلم هابقى ابلغها سلامك ...!

وهكذا تلونت ايامي بلون الشقاء...والخوف من المجهول...او حتى المعلوم..الذي كنت احاول الفرار منه او تجنبه طويلا.....هجر أحمد ..الذي حوّل حياتي مرة أخرى لانتظار ما لا أعلمه...والانتظار كان دائماً قاتلا للأمان....ولكنه أبداً لا يقتل العشق !

تعودت أخذ المهدئات حتى تلونت جفوني بلون قاتم...فلم يعد يزورني النوم الا وصأحبته الكوابيس يليها صحيان لليالِ طويلة..لم يعد النوم من روادي الا بأمر الأقراص المنّومة....!

- الو

- إزيّك يا ليلى

- أحمد !!!! كنت فين كل ده..اخص عليك...قدرت تسيبني كل الايام دي إزاي....اختفيت فين...سألت عنك ورحت لك البيت والشغل...ماحدش عارف لك طريق...انت كويس؟

- الحمدلله يا ليلى...أنا بخير...بس كنت محتاج اقعد مع نفسي شوية...أعيد حساباتي...وأفكر باللي جاي....محتاج اشوفك ونتكلم... بس ياريت يكون في مكان عام....!

صمَتُ طويلا...وكأن أحمد يقول لي بأننا أصبحنا غرباء...بأن قصة حبنا أصبحت من الماضي...كانه يطلب وداعي...او انهاء قصتنا... بطريقة لائقة فقط !

- حاضر...!

- النهاردة الساعة 7 هاعدي عليكي..ونروح نقعد شويه في النادي....

نقعد شويه في النادي.. ! قالها وكأننا متعودان على لقاءات النادي المملة...أو كأنها هي الاختيار الوحيد أمامه...لم يطلب لقاءا على العشاء في مطعم من المطاعم الفاخرة التي تعودنا أن نسهر ونرقص فيها على انغام الموسيقى حتى الفجر.....غالبا سيكون لقاءا مؤلما... تمهيدا لانهاء قصتنا....او بمعنى ادق...الاجهاز عليّ..ّ!

في تمام السابعة كنت اركب سيارة أحمد....كان سلامه باردا...قبلة على اليد مع كلمة مجاملة....ولم ينظر لوجهي أبداً....كعادته عندما يكون غاضبا...مني!

جلسنا في مكان هادىء يحيطنا حديقة غناّء..لم يكن النادي مزدحما...في منتصف الاسبوع...كان يوجد بعض الاعضاء في سن الكهولة...يجلسون بهدوء يشربون الشاي بالنعّناع....وبعض المراهقين ....وطاولة أخرى يجلس عليها بعض النساء غاويات النميمة ..ولم

يكن أبداً بالمكان المناسب لقصّتنا....ولكني لم اعلق على الأمر...تركت له القيادة واختيار ما يريده في هذه المرحلة...لانني كنت أعلم بأنه غاضب...وان الأمر أصبح قاب قوسين او ادنى...من الفراق الكبير..!

- بصي يا ليلى...الكلام الي ها أقولهولك ده..ياريت تفكري فيه كويس...وتفهميه صح...وماتقاطعينيش خالص لحد ما اخلص كلامي من فضلك ....

أنا كنت مسافر اول اسبوع في شرم...رحت نفس الاوتيل الي اتقابلنا فيه بالصدفة .عشت مع الذكريات هناك...حاولت اني احط نفسي مكانك...وافهم إنتِ ليه عملتي كده...ليه خبيتي عني انك ورثتي ميراث كبير....اكتشفت انك اكيد كنتي خايفة مني...مش حاسه معايا بالأمان...يمكن عشان الماضي...او عشان فشلي في شغلي الحالي والديون...وبغض النظر عن الاسباب...السبب الاهم في نظري والنتيجة الي وصلنالها هي عدم الإحساس بالأمان من بعض...إنتِ خفتي مني...وبالتالي خليتيني اخاف منك...

- انك عايزاني مجرد رجل في حياتك ..تحبيه من بعيد...بغض النظر عن ظروفه الماديه...او نجاحه في شغله...او فشله...ودي أنانية منك... أنانية شديدة...ولما حسيتي اني ممكن اشتغل مع داليا...الجميلة

...المليونيرة...صاحبة المؤسسة الناجحة..اضطريتي تحت ضغط خوفك ده...من انك تصارحيني بوضعك...واستعدادك للعمل معي... وللاسف كان عرضك برضو...اني اشتغل عندك...مجرد موظف...بصفة زوج...للست!

- الاسبوع التاني كنت في القاهرة...قابلت داليا...اكتر من مرة.. وقعدنا نتكلم في الشغل...عرضت علي..اني امسك مؤسستها...لقاء مبلغ مادي مغري...ونسبة عالية كمان...وحسيت من عرضها..انها مش بتعرض علي عمل...لا بتعرض نفسها كمان...تلميحا وليس تصريحا...إنتِ عارفه اني بفهم كويس في الستات ...وبعرف من نظرة عين الست هي عايزة إيه مني...أنا مش صغير....هاتسألي نفسك أنا بقولك الكلام ده ليه....صح؟

هأقولك من غير ماتسأليني....داليا..اعترفت لي...انها كانت جاية تعمل صفقة معايا...بايعاز من عاصم...قبل ما تقابلني...واعجبها.. كانت فاكرة اني راجل عجوز مش وسيم او انسان اقل من العادي.. ولما شافتني وعجبتها...قررت انها توافق على اللعبة دي.....

عاصم هو الي زقها في طريقي...عشان يصفى له الجو معاكي... بيحبك...وعايزك...وأنا الي واقف حجر عثرة في طريقه...واظن انك عارفه انه بيحبك..ده مش أمر جديد عليكي او فاجئك....وعشان كدة...قررت....اني اختار العرض الي يناسبني...أنا بحبك اه..وبحبك جدا...بس أنا مصدوم فيكي..جدا...لاني فهمت انك بتمشي حسب

كلام عاصم...والي هو بيقرره ليكي في علاقتنا...وأنا مش بحب ابقى منقاد لا لست...ولا لراجل...حتى لو كان فيه افلاسي...

أنا موافق نتجوز أنا وإنتِ..بشرط...ان نص الجريدة تبقى ملكي ....وأنا الي ادير...إنتِ مجرد ممول...شريك صامت يعني وبس...!

فكري بكلامي...وردي علي براحتك...لان عرض داليا لسه قائم.... بس كفتك إنتِ الي لحد دلوقتي راجحة عندي....والي في نصيبك اكتر...حبي ليكي...مش اكتر...بس العمل هو العمل...

- وإنتِ كنتي أعقل مني بكتير المرة دي...أنا الي كنت بفكر بعاطفتي..وإنتِ بعقلك....عشان كده جه دوري...اني أفكر بعقلي... مش بعاطفتي....!

لا أذكر ماذا قلت لأحمد بعد كلامه الجارح...صدمتي به... الشديدة...وصدمتي بعاصم الأشد...أنا دائماً ما كنت اضع في حسباني وعقلي الباطن..خيانة أحمد...ولكني أبداً...لم أتخيل خيانة عاصم.. بهذا الشكل القاسي...فكيف يكون حبيبا من يقتل حبيبه...؟ ماذا توقع عاصم مني ان تركت أحمد...هل توقع ان أوافق على زواجي به...هل توقع ان قلبي سوف يكون ملكا خالصا له حتى ان وافقت على الزواج؟

لماذا يكون الثمن دائماً أنا ؟ أدفع ثمن أنانية الرجل...وحبه لي...أو خيانته لي...او حبه للامتلاك ؟

كيف سأواجه عاصم بهذا الكلام الخطير؟ ماذا أقول له؟ أأقول له انه خائن لصداقتنا...كيف وأنا اراه صديقا..وهو يراني حبيبة يتمناها منذ رآني لاول مرة حسب كلامه...يوم اعترف لي بحبه؟

وماذا أقول لأحمد...هل ادفع ثمن حبي له واشتري سعادتي بالمال.. وهل سيشتري لي المال السعادة ان وافقت على دفع الثمن؟

لم أنم ليلتها...ولم يغمض لي جفن...ولا الليالي التالية بعدها...حتى وصلت من الإرهاق حدا يشبه الأغماء..او شبه شلل في اطرافي وثقل في الحركة.....حتى وقع مني كوب الماء..وأنا اشرب قرص المهدىء الرابع على التوالي لا أدرى هل كانت محاولة انتحار..ام ادمنت المهدئات....كل ما أذكره ان ارتعاشة يدي امتدت لجسدي كله...حتى وصلت لرأسي...احسست بالخطر...فقررت ان اتصل بعاصم ولا أدرى لماذا عاصم وليس أحمد...وبصوت منخفض....يشبه الفحيح..... طلبت منه الحضور على وجه السرعة وأنا احاول ان اتمالك انفاسي... قبل ان تسود الدنيا في عيني...وأقع في غيبوبة طويلة من فقدان الوعي...

لا أدرى كم لبثت في الغيبوبة....يوما..شهرا..عاما...عندما فتحت عيني....رأيت عاصم...يجلس على كرسي بجانبي...في غرفة بيضاء... غير مألوفة...علمت انها المستشفى التي نقلني اليها عاصم بعد ان كسر باب شقتي للوصول بعد وقوعي ارضا وفقداني الوعي....وبسبب الحادثة...حدث شرخ في عظام الكتف...والرقبة....ادت لشبه شلل في اطرافي...كان عاصم يحكي عن حالتي الطبية..وكأنه يقول قصة شخص غريب عني...لا يمت لي بصلة...وليست حالتي شخصيا...

استمعت لكلام عاصم...حرفا حرفا...بدون ان انطق بكلمة واحدة...حتى ظن اني فقدت النطق...طلب مني محاولة الكلام... ولكني آثرت الصمت تماماً....فطلب من الاطباء تشخيص حالتي بشكل ادق...ان كانت الحادثة ادت إلى اصابتي بالخرس ايضا...

من صدمتي في عاصم...وأحمد..والحادثة...وكل ما حدث لي... فقدت رغبتي في الكلام...ظللت صامتة انظر لعاصم....وأحمد الذي آتى متأخرا كعادته مثلما قال لي عاصم بعدها....انه كان يأتي يوميا للأطمئنان على حالتي الصحية ويغادر مسرعا....

كان عاصم يتابع حالتي يوميا...تارة يثرثر في اي مواضيع عامة.. وتارة أخرى...يجلس صامتا يقرأ بعض الجرائد اليومية...بعين واحدة...وعينه الأخرى تتابعني في الخفاء....تيقنت يومها...من حبه لي...عشقه لكل تفاصيلي...حتى وأنا شبه عاجزة على سرير

المرض..لا يكف عن النظر الي...والتحديق لساعات طويلة بلا كلل.... وأنا صامتة...او متظاهرة بالنوم...او أكون بالفعل في سبات عميق تحت تأثير العقاقير...وعندما اصحو اراه محدقا بي...يا إلهي...هل يعقل ان يعشق رجل امرأة بهذا الشكل العجيب ....لا أعلم لماذا احسست بالتعاطف مع عاصم...وبدأت اكره حبي لأحمد....او ما ظننته حبا لاخر العمر...فعاصم...كان رجلا دائماً...وأحمد كان رجلا أحياناً فقط....وشتان بين هذا وذاك....

مرت الأيام على نحو بطيء....ولكن الاطباء طمأنوني على نسبة التحسن...بدأت اتحرك في السرير....مع خطوات العلاج الطبيعي يوميا...كان عاصم يساعدني على الحركة...يمسك يدي...يعطيني الدواء في مواعيده بشكل ثابت...حتى الممرضات كن يستعجبن من دقته في المواعيد..عندما تتأخر الممرضة المسؤولة عن اعطائي الدواء كان يهرع اليها ويوبخها ويطلب منها التزام المواعيد في اعطائي العلاج... كان دؤوبا...مخلصا...حنونا معي....صارما في اسلوبه...مع الاخرين...!

وكان أحمد...يحضر يوميا وفي يده باقة ورد حتى امتلأت غرفتي بالورود ...لمدة عشر دقائق...كان ينفر من عاصم..يسلم عليه فقط للاداب العامة...وكان عاصم يبادله التحية ببرود وهدوء شديد

يراقبه بدون ان ينبس ببنت شفة..فكان أحمد يجلس بجانبي على السرير....بعد ان يقبل رأسي....يتحدث الي ...وأنا انظر له بصمت... ويطمئن علي من الأطباء ويرحل..وأنا ...لا زلت امثل دور الخرساء بجدارة...لم يكن بي رغبة للحوار...او النقاش...اعتبرت ماحدث لي فرصة لاستعادة أفكاري...بدون البوح بها...لاتمكن من استعادة حياتي لاحقا...بدون التدخل من عاصم او أحمد ايضا في ما سوف اقرره.. بعد خروجي من المشفى...والذي أصبح قريبا جدا...بفضل الله عز وجل...ورعاية عاصم !

خرجت من المشفى بعد شهر كامل من العلاج...والصمت... والألام التي كانت تنتابني بسبب الشروخ الجسدية...والنفسية...لم يعالجوني فقط من الشروخ...بل من الادمان على المهدئات والاقراص المنومة....وأحمد !

احضر لي عاصم خادم لتعنى بي....كانت اسيوية...هادئة مطيعة... تعودت ان اطلب منها ما أريد بالاشارة...عندما يكون عاصم موجودا...وعندما أكون لوحدي...كنت اتحدث معها...ولا أدرى لماذا اصريت على ادعاء الخرس....في حضور عاصم ....وأحمد...

أحمد الذي أصبح كالغريب عني...يحضر لزيارتي كواجب لا غير...

بدون ان يفتح اي حوار...يخصنا او يخص ما تحدثنا به آخر مرة تقابلنا فيها في النادي...وكأنه فقد رغبته بالارتباط بي ...وأنا كنت كالبركان اغلي بداخلي من تغيره المفاجىء...او ما أحببت ان اسميه مفاجئا؟

حتى لا اوبخ نفسي على ما فعلته بها؟ لا أدرى...كل ما اردته ان أعيش بسلام بعد الحادثة...بسلام بدون حب...او بدون أحمد...ان اقضي ايام نقاهتي بلا ضجيج أفكاري ...وعشقي لأحمد !

وكعادته يأتي عاصم...محملا بما لذ وطاب...يجبرني على الطعام.... والعلاج...وأحياناً ...الابتسام...حتى قررت ان اتكلم...

- متشكرة يا عاصم على كل حاجة...كلمة متشكرة مش هاتوفيك حقك أبداً....

- ياه اخيرا يا ليلى سمعت صوتك مرة تانية....الحمدلله....بس تعالي هنا...قوليلي بقى إنتِ كنتي فاقدة النطق ولا فاقدة الرغبة في النطق؟

- الحقيقة مكنتش عارفة...أنا بس كل الي كنت عارفاه...اني مش عايزه اتكلم خالص...صوت أفكاري كان مشوش على رغبتي في الكلام معك او مع اي حد تاني.

نظر لي نظرة عتب....فهم ما أرمي عليه...بالطبع أحمد..

فتجاهلت نظرته العاتبة...وأكملت....أصلي كنت زعلانة منك اوي...وكنت ناوية اعاتبك..بس الحادثة...سبقتني...

- خير يا ليلى...تعاتبيني على إيه؟ موش فاهم؟؟؟

- على موضوع داليا وأحمد ....حسب مافهمت..انه كان بينكم اتفاق...انها تشتغل مع أحمد...وتاخده مني بالمرة...

- مين قالك الكلام السخيف ده؟ ماتقوليش انه أحمد...الحقيقة أنا موش فاهم إنتِ ليه مصرة دائماً على تصديقه ..برغم انه ولا مرة...اثبت انه يستحق الثقة دي...ولا مرة...وموش عايز اتكلم اكتر من كده ...موش وقته بقى....

-هو إيه الي موش وقته؟ طالما قلت يبقى فيه كلام مستخبي.... قوله عشان افهم...موش بحب ابقى اخر من يعلم....وانت عارف ده كويس ! وخصوصا ان المسألة كلها تخصني أنا ...موش اي حد تاني !

- مفيش يا ليلى خلاص...أنا هامشي واجيلك بكره اتطمن عليكي.... سلام !

تركته يغادر ورياح الغضب تحركه...لاول مرة اراه غاضبا بهذا الشكل ...فأنا عهدته اعقل واهدأ وصعب الإستفزاز....رباطة جأشه كانت مضرب الأمثال....بحكم عمله كدبلوماسي ...فهو يعلم ما يقول.. وكيف يقوله...ومتى...لاول مرة يفلت منه زمام اعصابه...يكشر عن

انيابه...ويرحل غاضبا هكذا....ولكن معه حق...فأنا اتهمته اتهاما شديد القسوة....ولا أدرى ان كان أحمد اصدق من عاصم في هذا الأمر...ام انه كان يريد ان يكسب المعركة ضد عاصم ويزيحه من طريقه....لم اعد أعلم شيئا وان كنت بيّت النية على أمر آخر... يوصلني للحقيقة....فصبرا جميلا !

عندما حضر أحمد....فرح جدا عندما علم باستعادتي للنطق اخيرا...وسألني ان كنت أريد التحدث معه بشأن آخر لقاء قبل الحادثة ام لازلت على غير مايرام صحيا...فوافقت...بهدوء...وطلبت منه ان يسمعني بدون مقاطعة..مثلما استمعت له اخر مرة....وكل مرة !

- الحادثة الي حصلتلي دي...كانت مهمة جدا ...سبحان الله...ربنا أراد اني اعيد حساباتي تماماً في كل حاجة في حياتي.....اني اختبر نفسي وقدرتي على الحياة بشكل مختلف....بعيدا عن العاطفة...وعنك ...

انت كنت في الفترة الي فاتت بتبالغ اوي في ردة فعلك...كنت بتيجي ضيف...وتمشي ضيف...يمكن رفعا للعتب...او لاسباب أخرى... بس الاكيد...انك مكانش عندك حاجة تديهالي...لانك اتعودت تاخد.... وهاتاخد إيه من واحده متكسرة...وفاقدة النطق...اكيد ولا حاجة... انت كنت بس بتعمل الشكل الاجتماعي موش كتر...بس العاطفة... ملهاش مكان عندك...وفهمت طبعا انك ظبطت الدنيا مع داليا.... وابتديتوا تشتغلوا سوا...

- بالطبع كانت الجملة ألأخيرة هي ما بيّت النية عليها ...لأيقاع أحمد في الفخ...كان عندي شبه يقين...بأن داليا كانت البطلة في الوقت الذي كنت فيه أنا بعيدا عن الساحة.....لحكمة يعلمها الله وحده ابعدني عن الساحة....كي يريني لاحقا.. ان كان أحمد يحبني حقا او يكون مخلصا لي ان حانت له فرصة افضل مني ....كان الله رحيما بي...فلم يعد هناك ادنى شك في عدم اخلاص وحب أحمد .... أصبح الامر محسوما..اذن....وهو ماكان يحاول عاصم اخفاؤه عني في فترة مرضي وعلاجي....كان يحاول ان يجنبني الألم ...فهمت هذا الآن....فهمته تماماً....بعد جلاء أفكاري...وترتيبها....علمت ماكان أحمد يخفيه خلف زياراته السريعة...مخافة ان ارى داليا في عيونه... او اتعثر بعطرها بين ثنايا جلده ان احتضنته او قبلته....او اراها تلوح لي في نظرة شاردة....

نظرت لأحمد..لأرى تأثير وقع كلامي عليه...كان وجهه مكفهرا ...كمراهق امسكته امه بالجرم المشهود وهو يشاهد فيلما اباحيا...لا يعلم كيف يعتذر...او كيف يمحوا من ذاكرتها هذا المشهد....ليحتفظ بحبها واحترامها....وحنانها...وينجو من عقابها....!

- ليلى..أنا ...أنا منكرش اني فعلا لما اتناقشت مع داليا في موضوع الشغل..وتقريبا...يعني...هي اصرت اني أبدأ كفترة تجريبية معاها

الشغل...و...

- أنا -مقاطعة-....مش بس الشغل يا أحمد...مش أنا الي تخبي عني عينيك....بفهمك من بصّة...واضح انك عشت كمان معاها فترة رومانسية..أو خلينا نكون اكتر دقة...عملتوا علاقة كاملة....نمتوا سوا !

انا شامة ريحتها فيك...في جلدك...على شفايفك....في كل حتة في جسمك.....شايفاها في نظرتك لي...ريحة الخيانة الي عمري ما حبيتها فيك...لسه بتفوح منك بعد كل السنين دي...

عشان كده مش عايزاك تقول كلام تاني يا أحمد...أنا بعفيك من اي حاجة...او التزام...كان بينا...ربنا يوفقك...وأتمنى أسمع عنك كل خير...وميرسي على الايام السعيدة الي قضيناها سوا...بجد...كانت احلى ايام عمري..وعمري ما رح أحب حد زيك أبداً...حبنا كان احلى حاجة حصلت لي....ميرسي انك عرفتني معنى الحب الكامل...على الاقل...كان كامل من طرفي أنا ....!

تركته في الصالة...مطرق الرأس...غارقا في عرقه....ودموعه.... وغرقت أنا في وحدتي....وآلامي...وشقائي المنتظر !

احسست بعلاقته بداليا منذ البدء..ولكنني كذبت نفسي كي لا يزداد تعبي ومرضي...تركت نفسي للمصادفة والتجاهل كي لا أنهار مجددا لمجرد الفكرة...أحمد خلق من أجل امرأة كـداليا يتملكان نفس النسيج ...

وأنا خلقت لعبة لأحمد يلعب بها حد الملل ...و بمعنى أصح تركت نفسي ليلهو بي كيفما شاء.....كان الرجل الذي لا استطيع ان ارفض له طلبا ابدا...ايا كان هذا الطلب...فكيف يكون قرارا بالفراق عنه والهجر ...اريد ان اخذه بنفسي...

وكأني كنت استعجل الألم...والدموع عندما قررت ان انهي علاقتي بأحمد...وكأني كنت استعذب الوجع...والفراق...ظننت اني قوية...»والظن كان فاتورة باهظة الثمن يجب علي ان ادفعها لوحدي» ...

عندما طلبت منه الرحيل...أعتقدت انني قوية...او ان فترة العلاج الطويلة وبعده عني أرجعتني لصوابي...وعقلي...ولكن...اكتشفت كم أنا ضعيفة....كنت اجتر الذكريات الجميلة....فهنا كان أحمد يقبلني... وهنا كنا ننهل من المتعة سويا بلا انتهاء او شبع....وهناك كان يجلس يتابع المسلسل معي...وأنا العب في شعر صدره الكثيف...تارة أربت على فخذه بحركات مثيرة...

وتارة أخرى اقبله قبلات كثيرة حتى استفز فيه رجولته...فيحضتنني بقوة ونبدأ حلقة جديدة من معارك الغرام....فيقفز فجأة فوقي.. ممسكا بكلتا يدي...مكبلا لحركتي...ويبدأ في اثارتي بقسوة....وينتهي الامر بالعناق...والقبل..والمداعبات الحنونة...فأستسلم له....كقطة في فترة شبقها....لاتستطيع ان ترفض ذكرها الذي سلبها ارادتها...بقوة الغريزة....والمتعة....!

اياما وليالٍ طوال...كنت امسك الهاتف...اضغط كل ارقامه... ماعدا الرقم الاخير....واغلق السماعة مرة أخرى...ماذا أقول له؟ هل أقول له اترك داليا وتعال...سوف اغدق عليك من عشقي بدلا منها... او اغنيك بمالي؟ واخسر كرامتي....واحترامي لذاتي...وهو كل ما بقي لي في هذه الحياة؟ وبعدها تأتي امرأة أخرى أو أخريات ..... كلا..لن استسلم...ولن ادخله حياتي مرة أخرى...ولن استعذب الألم ثانية... لأخر مرة...يجب ان يختفي أحمد من حياتي للأبد..ويجب ان اصمد ....يجب ان انسى !

صعُب علي ان أعيش الفراق مرة أخرى وأنا في سن الاربعين... لم يكن بالسهل ان أعيش نفس التجربة...ولمفارقة القدر..ان يكون نفس الرجل الذي هجرني في ريعان شبابي...وان يعيد التاريخ نفسه ..

الأكثر ايلاما اني لم اعد أستطيع ان أعيش وحيدة مرة أخرى....ان احس بأني لن امارس انوثتي مرة أخرى على رجل ..أو ان افقد الرغبة في قرب رجل اخر غير أحمد ..كان أكثر ما يؤلمني..ويحز في نفسي... ان افقد انوثتي بفقداني لأحمد ...كان إحساسا مؤلما...كارثة حلت بي...فأنا منذ وعيت على الدنيا كأنثى...كان أحمد هو رمز الرجولة... والحق يقال لا يزال...لم استطع ان اجتثه من عقلي..ولا قلبي...ولا غريزتي...كان كل رجل ناقص غير مكتمل الرجولة....فقط لانه ليس أحمد...وكاني بهجري له هجرت انوثتي عنده....حتى لم أعد انثى !

مرت بي الأيام حزينة...رتيبة...لم يحاول أحمد ان يتصل بي أبداً.....

وأنا لم اعد انتظر مجيئه ايضا... فجأة كل النيران انطفأت... والبراكين همدت....والحياة تلونت

بلون رمادي قاتم...بعد ان كان اللون الأحمر هو المتصدر...لون الحب...والشهوة...والجنون...

رجعت إلى قرائي...وعملي...احل مشاكلهم...وأنا عاجزة عن حل مشكلتي....او كما يقال ...طبيب يدواي الناس وهو عليل.....

ظل عاصم يتردد علي يوميا...علم بأني تركت أحمد....ولم يحاول إخفاء فرحته.....ولم يحاول ايضا مضايقتي بتكرار عرضه بالزواج مني....فقط لمّح لانه سيظل ينتظرني العمر كله....وأنا لم اعقب على كلامه بوعد....ورفضت ان اعطيه الأمل....برغم اني بدأت اراه بشكل مختلف...أكثر قربا...أكثر رجولة....أكثر احتواء...بدأت انظر له كرجل....!

وبرغم اني كثيراً ما كانت تنتابني الأفكار المجنونة.....اني تزوجت أحمد....وتخيلت حياتي معه بعد هدوء العاطفة...وركون القلب إلى العقل....وتواتر الروتين اليومي..فلم استسغ طعمها....لم يعجبني اللون الرمادي القاتم...لم يكن دورا يليق بأن يلعبه أحمد أبداً... أحمد الذي ارتبطت صورته بلون دمي الأحمر القاني....لون يلغي كل الالوان...ويضارعها جمالا...وجنونا...وعظمة...لن يتحول للون اخر... خصوصا الرمادي..المقيت...!

وفي جملة التخيلات التي انتابتني...تخيلت عاصم زوجا لي.. تخيلت الهدوء...والامان...والحب اللا محدود على الأقل من طرفه... وبغير شروط...

اللآن أعلم ان عاصم هو الرجل الفارس الذي سينتشلني من ألمي ومرضي وضعفي وتعبي في عجزي..كما فعل في فترة مرضي.....سيكون

سندا لي في الملمات...وعونا في الايام الصعبة....وإن كنت لا أحبه.. كحبي لأحمد...ولا ارغبه كرجل يلمس جسدي ...كيف السبيل لان اركب عاطفة عاصم لي..على عاطفتي لأحمد....كيف أستطيع ان انقل عاطفة عاصم العاقلة...لحبي لأحمد الهادر المجنون المنطلق في كل اتجاه بلا لجام او قوانين او عقل؟

هل من الممكن ان يتحول الحب إلى عدوى...تصيب من يلمسه فيصاب به ويصبح عاشقا لمن نقل له العدوى....هل هناك دراسات او ابحاث اثبتت هذه النظرية العجيبة؟

أليست المرأة بكائن لطيف يحب الاهتمام والتعود والاخلاص والإحساس بالامان والحب المطلق؟

فهل من الممكن ان تحب من يحبها فقط لانه اخلص في حبها واثبت لها انها المرأة الوحيدة التي يراها ويرغبها دونا عن جميع نساء الارض؟

أم ان الحب عصّي حتى على المحبين حاكم ظالم...لا يعبأ بالعقل.. ولا المنطق...ولا تلزمه قوانين البشر ؟

وكثيراً ما كانت تحضرني رواية الجميلة والوحش الاسطورية... كيف أحبت الفتاة وحشا شرسا...شكله مفترس...ولكنها كان حنونا... محبا..مخلصا...احست معه بالأمان....

اما أنا ..فـ وحشي كان ...وسيم إلهيئة....وحشا من الداخل.... دائم الخذلان لي....لم يتحملني في مرضي....هرع إلى أول امرأة أشعرته

برجولته.....لم يكن سندا...ولن يكون أبداً.....

.لم يكن الحب كافيا لحياة سعيدة هانئة آمنة....كان ينقصه توفر الامان والثقة...والنظرة المشتركة للحياة....

اعطاني الله امورا كثيرة....مالا وشهرة وجمالا وعقلا ايضا....وكل هذا لم يكن كافيا بجانب العاطفة التي رغبت وتمنتيت ان أعيشها للابد في حضن أحمد....والاخلاص الذي احسه من عاصم....فكان عاصم العقل....وأحمد العاطفة... وكنت أنا ... الجنون....!

مقارنتي بين أحمد وعاصم جعلتني ظالمة لنفسي...ولهما ايضا...فلا سبيل أبداً للمقارنة...فكل ما يجمعهما هو العاطفة...عاطفتي نحو أحمد...وعاطفة عاصم نحوي...او بمعنى ادق...وجودي هو الذي يجمع عاصم وأحمد في خانة واحدة...لا...بل خانتان...مختلفتان... من حيث التفاصيل والاقدار....

ولازلت أعيش صراع العقل...ام القلب ....ام الفرار إلى المجهول... بانتظار عاطفة تجمع العقل والقلب معا...ام ان هذا طلب أصبح مستحيلا في زمن يعج بالفوضى والماديات والمصالح...؟

تـــــــمـــــــــت